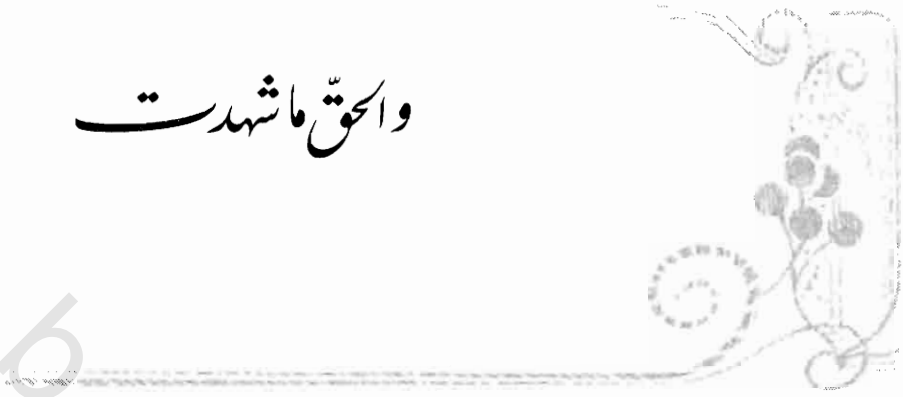

في هذا اليوم سنتوقف أكثرَ من وَقْفة، وفي كل وَقْفة نلتقي بواحد من رجال الفكر والعلم والأدب في ديار الغرب ممن درسوا مبادىء الإسلام وتتبعوا سُخصية الرسول عليه الصلاة والسلام وسيرتَهُ وشمائلَه، ولم يمنعْهم كونُهم غيرَ مسلمين أن ينطقوا بالصدق ويشهدوا شهادة الحق؛

● **يقول (كارلايل):**

كان مولدُ محمد مبعثاً للنور من الظلمات ليس في أوساطِ جزيرة العرب وَحْدَها، بل عم هذا النورُ البشريةَ كلَّها.

● **ويقول: (جان جاك روسُّو) الأديبُ الفرنسي الشهير:**

لو أنّ أيّ شخص سمع محمداً يقرأُ القرآنَ على الناس بتلك اللغة العربية الفصحى الرقيقة، وذلك الصوتِ المشبع المقنع، الذي يُطْرِبُ الآذان، ويأخذ بالألباب، ويؤثرِ في القلوب، لَخَرَّ ساجداً على الأرض وناداه: أيها النبيُّ، يا رسول الله، خذ بيدنا إلى مواقفِ الشرفِ والفخار، أو مواقعِ التهلكة والأخطار، فنحن من أجلك نود الموت أو الانتصار.

● **وكتبت رئيسةُ تحرير جريدة الناقد الإيطالية تقول:**

ظهر شعورٌ جديد بظهور نبوة محمد، شعورُ التآلف بين أمةٍ جمعتها قواعدُ الدين والأخلاقِ السامية، ولم يَمْضِ وقتٌ طويل حتى اجتاحت الأمةُ العربية وهي تحمِلُ مبادىء الإسلام ممالكَ الحضارة القديمة غيرَ آبهة بالحواجزِ والعثرات، وصاغت من تلك الشعوب المتفرقةِ المتنافرة عندما دخلت في الإسلام أمةً واحدة لا يُفَرِّقُها شيء ولا يقف أمامها حاجز، وإنّ الله الذي أرسل محمداً كآخر نبي إلى الأرض، لكفيلٌ أنْ يُعْلِيَ كلمته، وَيَنْصُرَ رسالتَهُ وشريعتَه.

● **ويقول القِس الكاثوليكي (لوزون):**

محمد بلا التباسٍ ولا نكران نبيُّ اللهِ ورسولُه، عظيمُ القَدْر والشأن تَمَكَّنَ بإرادةِ الله من تكوين الملة الإسلامية، بما جعل معتنقيها يزيدون في عصرنا هذا على ألفِ مليون مسلم، رأسوا بجدهم في أيامهم الخوالي سلطةَ الفرس والرومان، وارتعدتْ من هيبتِهم فرائصُ الجبابرة في مشارقِ الأرضِ ومغاربها.

● **ويقول: (بورت سميث):**

إنني مصممٌ على الاعتقاد بأنَّ يوماً سيأتي قريباً يَتَّفق فيه رجالُ الديانة المسيحية وزعماءُ شعوبِها على أنَّ محمداً نبيُّ الله ورسولُه، أرسله بالهدى والحق إلى الناسِ أجمعين؛ ذلك لأنّ محمداً بلا نزاع أعظمُ المصلحين على الإطلاق.

● **ويقول البرفسور (ليك):**

لقد كان يتيمُ آمنةَ الحبيب، أعظمَ الرحمات لليتامى والغرباء، والمنكوبين والضُعَفْاء، والمدينين والفقراء، والعمال ذوي الكدّ والعناء، والعبيد والأرقاء، . . . لقد كان محمدٌ رحمةً لجنسِ النساء الذي كان يعامَلُ في جميعِ أنحاء الدنيا من قِبَلِ كلِّ نظام اجتماعي ودين، كالأمتعةِ والأثاث لا غير. . . فلنهتفْ بأعلى صوتِ التلهف، ومشاعرِ الإخلاص: اللهم صلّ وسلّم على محمد وعلى أتباعِهِ ومحبيه.

● **ويقول سير (ويليام موير):**

كانت السهولةُ صورةً من حياةِ محمد كلّها، وكان الذوق والأدب أظهرَ صفاته في معاملته حتى لأقلّ تابعيه شأناً، فالتواضعُ والشفقة والصبرُ والإيثارُ والجود صفاتٌ ملازمةٌ لشخصه، وجالبةٌ لمحبة جميعِ مَنْ حوله، فلم يُعْرفْ عنه أنه رفض الاستجابةَ لدعوة حتى ولو كانت من أقلّ الناسِ شأنا، أو امتنع عن قبولِ هدية مهما كانت صغيرة. وما كان يشعر أَحَدٌ وهو في حضرته بغيرِ الاحتفاء والتقدير مهما كان ضعيفاً !

وكان محمدٌ يفرح لفرحِ الآخرين ويُسَرُّ لسرورهم، وكان مع المصابِ والحزينِ شريكاً شديدَ العطف حَسَنَ المواساةِ... وفي أوقاتِ العسر كان يقتسم قوتَه مع الناس... وكان دائمَ الاشتغال والتفكيرِ في راحة مَنْ حولَه وهنائهم وسعادتِهم.

● ويقول العلاّمة (هيل) في كتابه (حضارةُ العرب):

إنَّ جميعَ الدعوات الدينية قد تركت أثراً في تاريخِ البشر وكلُّ الأنبياء والمصلحين قد أثّروا تأثيراً عميقاً في أقوامِهم وحضاراتِ عصورهم، ولكنّنا لا نعرفُ في التاريخ البشري، ديناً انتشر بهذه السرعة، وغيّر العالم وأثّر في أهله وشعوبه كما فعل الإسلام، ولا نعرِفُ في التاريخ دعوةً كان صاحبُها سيداً مالكاً لزمانه وقومِه كما كان محمد.

لقد أخرج محمدٌ أمةً عبقريةً إلى حيّز الوجود، ومَكّن لعبادةِ الله في الأرض، وفَتَحَ الدنيا لرسالةِ الطهر والفضيلة، وَوَضَعَ أسسَ العدالة والمساواة الاجتماعية بين المؤمنين، وأَحَلَّ التخطيط والتناسق، والطاعةَ وحبّ النظام في أقوامٍ كانت لا تعرِفُ غير الفوضى والفرقةِ والأنانية.

● **ويقول (برنارد شو) المفكر الانجليزيُّ المعروف:**

أكاد أجْزِم بأنه لن تمضي مائةُ سنة إلّا وقد دخلت أوروبا في الإسلام. وما أحوجَ العالم اليوم إلى رجلٍ مثلِ محمد يَحُلُّ مشاكلَه وهو يشرب فنجاناً من القهوة.

● ويقول (دريبر):

واليوم علينا أن نعترف بكلّ الصدق والموضوعية والعرفان؛ لقد بَقِيَتْ ترجماتُ ومؤلفاتُ العلماءِ المسلمين في الطب والحساب والفلك والعلوم وغيرها المصدَر الوحيد للتدريس في جامعاتِ أوروبا نحوَ ستةِ قرون.

● **أما الدكتور (غريسيب)** الذي كان رئيساً لأطباءِ المعهد الألماني في برلين، فقد وقف خطيباً في احتفال اقامة الطلبة المسلمون إحياء لذكرى مولد الرسول عليه الصلاة والسلام، وقال:

أيها الطلاب المسلمون:

إننا نحن الأوروبيين مدينون لكم ولتلك القافلةِ العظيمة من العلماء والمبدعين التي حملت حضارتكم إلى الشعوب، فَأحْيَتْ بها أرجاءَ الدنيا، وأنقذت بها شعوبَ العالم... ولا يزالُ العَجَبُ يأخذ منّا كلَّ مأخذ عندما نتذكر (ابن سينا) و(الرازي) و(ابنَ الهيثم) و(جابرَ بنَ حيان) و(الخوارزمي) و(البيروني) و(الزهراوي) وغيرَهم.

أيها الطلبة المسلمون:

الآن وقد انعكس الأمر، فنحن ـ الأوروبيين ـ يجب أن نؤديَ ما علينا تجاهكم؛ فما هذه العلوم إلّا امتداداً لعلومِ آبائكم وشروحاً لمعارفهم ونظرياتهم... فلا تَنْسَوْا أيها الطلبة تاريخَكم، وعليكم بالعمل المتواصل لتعيدوا مجدَكم الغابر، طالما أنَّ كتابَكم المقدس عنوانُ نهضتكم ما زال موجوداً بينكم، وتعاليمَ نبيكم محفوظةٌ عندكم، فارجعوا إلى الماضي، لتؤسّسوا

المستقبل، ففي قرآنكم علم وثقافة، ونورٌ ومعرفة. . . وسلام عليكم يا طلابَنا، بعد أن كنّا في الماضي طلابَكم !

وبعد، أيها الإخوة والأخوات،

هل تظنون أن الدكتور (غريسيب) قد أبقى لنا شيئاً نقولُه بعدما أوصانا.

ـ بأن لا ننسى تاريخنا،
ـ وأن نعملَ جاهدين في سبيلِ إعادة مجدنا الغابر،
ـ وأن نؤسسَ مستقبلَنا الجديد على قواعد ماضينا المجيد،
ـ وأنَّ قرآننا الكريم هو عنوانُ نهضتنا.
ـ وأن الإسلام هو دينُ العقلِ والمعرفة والتقدم والحضارة والارتقاء.

اللهم إني قد بلَّغت. . . اللهم فاشهد.

الفرسان الثلاثة

قالت أم سُليم المسلمة المؤمنة لزوجها مالك بن النَّضْر الذي أصرّ على الكفر بالله، وعدم الإيمان برسالة محمد عليه الصلاة والسلام رسالةِ الإسلام، قالت: **لا تُشْرِكْ بالله شيئاً يا رجل، حِطّم هذه الأصنام واخلعْها من نفسِك وقلبك، واشهد شهادةَ التوحيد، إشهد أَنْ لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله**...

ولكنّ مالكَ بنَ النضر أبى واستكبر، وَرَفَضَ هذه الدعوة المخلصة، وخرج غاضباً إلى الشام مُخَلِّفاً وراءه في يثرب زوجتَهُ الصحابية المؤمنة أم سُليم ومعها طفلهُما الرضيع أنسُ بن مالك... تَرَكَها وما معها إلّا إيمانٌ بالله لا يتزعزع، وحبٌّ لرسولِهِ ﷺ لا يُجارى...

وجلست أمُّ سُلَيم إلى وليدِها الصغير الذي شارفَ على الكلام تهدهدهُ وتلاعبه وتقول له: أنسِ... يا أنس.

ويجيبُها الطفل بحركةٍ من رأسه وصوتٍ من فمه ونظرةٍ من عينيه بأنه منتبه إليها مُصْغٍ إلى حديثها فتقولُ له:

قل يا حبيبي لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله... وتكررها عليه مراتٍ

ومرات، وتساعده في كلِّ مرة على أدائها بالشكل الصحيح، فإذا الطفل ينطقُ بها أخيراً صحيحة سليمة فتمتلىءُ الأم فرحة وطرباً! كيف لا ؟ وقد سجل التاريخ أن الكلماتِ الصحيحةَ التي تلفّظ بها أنسُ بنُ مالك لأولِ مرةٍ في حياته كانت شهادةَ التوحيد: لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله...

وجاءت الأخبار بمقتل زوجها مالك بن النضر في بلاد الشام فَقَطَعَتْ أمّ سُليم العهد على نفسِها بأن لا تَفْطِمَ ابنها أنساً حتى يَدَعَ ثديَها من نفسه، وأن لا تتزوج حتى يجلسَ أنسٌ في المجالس فيأمُرَ ويَنْهى ويُشيرَ ويُستشار... وقد عَرَفَ أنسٌ فيما بعد ذلك الفضل وتلك المِنّة لأمّه فكان: يقول: جزى الله أمّي عني خيراً فقد أحَسَنَتْ ولايتي.

وَكَبِرَ أنسٌ وترعرع، وكانت أمُّه أمُّ سُلَيم تُحَدّثُهُ بين وقت وآخر عن النورِ الذي احيى الله به يثرب، عن خاتمِ الأنبياء والمرسلين محمدِ بنِ عبدالله صلوات الله وسلامه عليه، الذي ابتعثه الله رحمةً للعالمين، وعن الحياةِ الدنيا، وعن الحياةِ الآخرة، عن الإيمانِ بالله وقواعدِه، عن صِدْقِ النية، والإخلاص في العمل، والتمسكِ بمكارم الأخلاق، عن سبيلِ المؤمنين سبيلِ محمد عليه السلامُ وصحبهِ، عن سبيل الكافرين أعداءِ الله والإسلام ونبيّه الذين جحدوا بالحق، وكفروا بالله واتّبعوا الشيطان... **كلُّ ذلك بالقدر الذي يستوعبه ذهنُهُ الغض، ويَعيهِ فكره البكر، راجيةً من الله سبحانه وتعالى أن يُكْرِمَ ابنها بنعمةِ الإسلام** ويجعلَه جندياً مجاهداً صادقاً في جيشِ محمدٍ العظيم...

كان أنسٌ الغلام يُنْعمِ التفكير في أحاديث أمه، ويطيلُ التأمل في الموضوعات المهمة التي كانت تطرحها على مسامعه كلما وجدت إليه سبيلاً، وكان يَطْرَبُ أكثرَ وأكثر وهو يَشْعُرُ بروعةِ تلكِ المفاهيم يستريحُ لها عقلُه، ودفء تلك العبارات تتسللُ إلى قلبه، **فَيُحِسَّ بالاستقرار والهناءة والسكينة والرضى.... ثم يعلن إسلامَه لله رب العالمين، فتمتلىء أمُّ سُلَيم غبطة وفرحة**

وسروراً، فقد تحقق الأمل الذي كانت تحلُمُ به، وحصلت الغايةُ التي نَذَرَتْ نفسها من أجلها. . .

وفكّرت أمُّ سَليم رضي الله عنها. . . ماذا يمكنها أن تقدّم لقائدها وهاديها ونبيّها عليه الصلاةُ والسلام ؟ تَمَنّت لو كانت رجلاً لتتصدر على صهوةِ جوادها صفوفَ المجاهدين في سبيل الله. . . وتمنّت كذلك لو كانت موسرةً غنيةً لتنثر ما تملكه بين يدي رسول الله لينفقَه في سبيل الله. . . . . ومع كلّ هذا فإنها تستطيع أن تفعل شيئاً. إنّ لديها شيئاً عزيزاً نفيساً غالياً هو ابنُها أنس فَلْتذهب به إلى رسول الله ﷺ. . . .

واستأذنتْ أمُّ سُلَيم بالدخولِ على رسول الله ﷺ ومعها ابنُها الغلامُ المؤدّبُ الأثيرُ أنس، وقالت في استحياء:

يا رسولَ الله، هذا أنسٌ ابني، جِئْتُ به ليخدِمَكَ إنْ أَذِنْتَ.

فَسُرَّ به رسول الله غايةَ السرور، وشَكَرَ لأم سُليم حُسْنَ صنيعِها. وتَشَرَّفَ أنس بالالتحاقِ في خدمةِ رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وترعرع الغلام الهمام في واحة النبوة لا يفارقُ أنوارَها السنية، ولا يبتعدُ عن رحابِها الرضية، وارتضع من لِبان الإيمان ورحيق القرآن ما شاء الله له ذلك، وشهد المشاهدَ مع رسول الله ﷺ، وصار فيما بعد علماً من أعلامِ الصدر الأول من أمتنا الإسلاميةِ المجيدة علماً وعملاً وإخلاصاً وجهاداً.

وتقدّم أبو طلحة زيدُ بن سهل لِخطبةِ أمّ سليم، وكان ذا غنى واسع، ومالٍ وفير، ولكنّه لم يكن قد أسلم بعد، فإذا بأمِّ سليم تجيبُهُ قائلة: أما إني فيك لراغبة، وما مِثْلُك يُرَدّ، ولكنّك رجلٌ كافر وأنا امرأةٌ مسلمة، ولا يَحِلّ لمسلمةٍ أنْ تتزوّج كافراً !

فدُهِشَ أبو طلحة واستغربَ مما سمع، وقالَ لها:

ماذا دهاك يا أمَّ سُليم... أين أنتِ من الذهبِ والفضة ؟ أين أنت من المسكن الهنيء والعيشِ الرغيد ؟

ولكنَّ أمَّ سُليم عاجلتْه بالضربةِ القاضية مستخِفَّةً بذهبِهِ وفضتهِ وكلِّ ما يَمْلِكُ من مالٍ ومتاعٍ فقالت:

أرأيتَ حجراً تَعْبُدُه لا يضرُّك ولا ينفعُك، أو خشبةً ينجرها النجار، أو عجوة تصنعها بيديك صنماً في أول النهار، وربّما أكلته في آخره ؟.. أما تستحيي يا رجل أن تَسْجُدَ لمثلِ هذا وأن تعبدَ مثل هذا وأن تخضع لمثلِ هذا ؟ !

فَأُرْتجَ على أبي طلحة ولم يُحر جواباً، وانصرف من عند أمِّ سليم هائماً على وجهه... بل خَرَجَ وفي صدره ثورةٌ، وفي عقله بركانٌ، وفي مسامعه حديث أمِّ سُليم لا يفارقه في ليلٍ أو نهار ولا في صحو أو منام !

وَمَرَّتْ أيام لم يكن أبو طلحة فيها يخلُدُ إلى الكرى إذا أوى إلى فراشه إلاّ ويؤرِّقُهُ حوارٌ مع نفسه يُسَلِّمُ في نهاية مطافه أنّ الأصنام والأوثان لا تنفع ولا تضرُّ ـ كما قالت أم سليم ـ ولا تغني عن الحقِّ شيئاً... ومن العار أن يَسْجُدَ الإنسان الكائنُ الحيُّ المتحركُ العاقلُ المفكرُ المدبِّر إلى مَنْ دُوْنَهُ قَدْراً وكفِاية وأهميةً ووزناً...

ولم يَجدْ أبو طلحةَ بُدّاً عند ذلك من العودةِ إلى أم سليم، ومتابعةِ الحديث معها، بل والإسلام بين يديها...

قال أبو طلحة: **واللهِ يا أُمَّ سليم، لقد وَقَعَ في قلبي ذلك الذي حَدَّثْتِني عنه، فماذا أفعل حتى أصبحَ مؤمناً بالله، مصدِّقاً بما جاء به محمدُ بن عبدالله ؟**

قالت أم سليم: **تقول أشهدُ أَنْ لا إله إلاّ الله وأنَّ محمداً رسول الله.**

فقال أبو طلحة: **أشهدُ أن لا إله إلاّ الله وأشهدُ أنَّ محمداً رسول الله.**

فكَبَّرت أمُّ سليم وتهلَّلَ وجهها بالبشر والسرور وقالت لأبي طلحة: **الحمدُ لله الذي هداك إلى نور الإسلام وأنقذك من ظلام الكفر. وأهلاً بك الآن زوجاً. وأُشْهِدُ الله بأنني لا أريد منك صداقاً إلّا الإسلامَ وقد هداك الله إليه. فاذهب إلى رسول الله ﷺ من فورك وأخبره بإسلامِك وائتني بولدي أنس.**

وهُرِعَ المسلم الجديد أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ. **فلما رآه رسولُ الله ﷺ نَظَر إلى أصحابِهِ وقال: لقد جاءكم أبو طلحة وغُرةُ الإسلامِ بين عينيه!**

وهكذا جاء الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقا...

حاول اغراءَها بالذهب والفضة والأموال، فلم تلتفتْ إلى هذا الإغراء، ولم تأبه بمتاعِ الدنيا بل حَوّلت الهدف إلى مرماه فعرضت عليه الإسلام، وزيّنت في قلبه الإيمان، بأدبٍ رفيع، وخلق نبيل، ونصيحةٍ حكيمةٍ، وهكذا استطاعت أن تصطادَه قبل أن يصطادها، وكانت حصيلةُ ذلك أسرةً مؤمنة جديدة من أبي طلحة زيد بنِ سهل وأمِّ سُليم رضي الله عنهما، فَرِحَتْ بها مدينةُ رسول الله ﷺ تلك الليلةَ بأسرها، وتَحَدّث عنها المسلمون ولا يزالون يتحدثون إلى أن يَرِثَ الله الأرض ومن عليها.

كان أبو طلحة كما علمتم أيها الإخوة والأخوات من أغنياءِ المدينة، وكان من أكثر أهلها نخيلاً، وكان أحبَّ أمواله إليه بستانٌ اسمه (بَيْرَحاء) كان يقع مقابلَ المسجد... وكان عليه الصلاةُ والسلام يَدْخُلُ هذا البستان ويَشْرَبُ من مائه العذب، **فلما نزل قول الله تعالى: ﴿لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تُحِبُّون﴾ جاء أبو طلحة رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله إنّ أحبَّ أموالي إليّ بستاني (بَيْرَحاء) وإنّي أُشهدُك أنها صدقة لله عزّ وجلّ، أرجو بِرَّها وذُخْرَها عند الله، فضعْها يا رَسولَ الله حيث أراكَ الله!**

فسُرَّ رسولُ الله ﷺ سروراً عظيماً بذلك وقال:

بخ بخ . . . ذاكَ مالٌ رابح . . . . ذاك مالٌ رابح . . . وقد سَمِعْتُ ما قُلتَ يا أبا طَلحةً، وإني أرى أن تجعلَها في الأقربين.

فقال أبو طلحة: سمعاً وطاعة يا رسول الله، ثم قَسَمَ أبو طلحة ذلك البستان في أقاربه وبني عمّه. . .

أيها الإخوة والأخوات

أرأيتم إلى هؤلاء الفرسان الثلاثة ما أعظمهمَ وأجلّهم وأروعَهم.

أمُّ سليم المرأةُ المسلمةُ الصالحة.
وأنس بن مالك الشابُ المسلمُ الصالح.
وأبو طلحة الرجلُ المسلم الصالح.

رضي الله عنهم وأرضاهم، وكَتَبَنا في السائرين على نهجهم، المواصلين لجهادهم، اللاحقين بركبهم ركب الأنبياء والشهداء والصالحين. . .

obeikandl.com

بديع الزمان

طلع في آفاق استانبول إنسانٌ يحمل شعلةً ناريةً من الذكاء العجيب بمثل هذا العنوان استقبلته الصحف التركية، وتحدثت عنه الأخبار. . .

وُلِدَ صاحبنا في عام ألف ومائتين وثلاثة وتسعين للهجرة أي قبل حوالي مائةٍ وسبعةَ عشَر عاماً في قرية تركية صغيرة، تابعة لقضاء (هيزان) في ولاية (بدليس) من أبوين كرديين. . .

في السنة التاسعة من عمره اتجه إلى طلبِ العلم متأثراً بتوجيهات أخيه الكبير (المُلاّ عبدالله)، فَرَاحَ يتنقل بين مختلف المدارس وحلقاتِ العلم المنتشرة حوله، حتى إذا بلغ الثامنة عشرة من عمره أصبح في عداد فحول علماء عصره، فقد استطاع أن يتقن علوم اللغة العربية، والعلومَ العقلية على اختلافها، والفقه وعلمَ الأصول، وعلومَ القرآن، وانكشفت مواهبُهُ عن ذكاء حاد، وحافظةٍ عجيبة مذهلة، فاستظهر ـ حَفِظ عن ظهر قلب ـ جملةً من مقامات الحريري، وحَفِظَ القاموس المحيط إلى حرف السين، وغيَّب فوقَ ذلك كتابَ (جمع الجوامع) في أصول الفقه فيما لا يَزيدُ عن شهر واحد، حتى أصبح اسمُه حديث المجالس بين أهل الفكر والعلم والأدب. . . **ذلك هو المفكر الإسلاميُّ المجاهد، علاّمةُ عصره الشيخ سعيد النورسي عليه رحمة الله. . .**

أيقظت مزايا هذا الرجل العديدة، ومواهبُهُ الفريدة، كوامنَ الغيرة والحسد عليه في نفوسِ كثير من أهل العلم الذين لم يتخلَّقُوا بأخلاق الدعاة، فراحوا يُحْدِقون به، ممتحنين له مرةً، وواشين به إلى الحكام مرةً أخرى، ولكنّ علمه الغزير، وخلقه الرفيع، وتواضعَه الجم، كان ينجيه من كل ما يُراد به من سوء...

وذات يوم أحاط به بعضُ أولئك الأدعياء، يقصدون إيذاءه... فلما تيقّن من نواياهم قال لهم: (**اقتلوني. ولكن أرجو أن تحافظوا على مكانةِ العلم وسمعة العلماء**)... وعَلِمَ الوالي بهذا الأمر ـ وكان يحترم بديع الزمان ويُجلُّهِ ـ فأراد أن يعاقِبَ الذين آذَوْه وأساؤوا إليه... فاعترض بديع الزمان رحمه الله وقال للوالي: (**نحن طلابَ العلم نتخاصم ونتراضى، ولا أرى من المناسب أن يتدخل غيرُهم فيما بينهم... ولقد كنت أنا المخطىء فيما سمعتَه عني**) ولم يتجاوز عُمُرُهُ إبّان هذه الحادثة ستةَ عشر عاماً.

ومن أخبار الشيخ سعيد الطريفة أنه كان يَحْرِصُ دائماً على أن يترك شيئاً من طعامه للنمل، فإذا سأله سائلٌ عن ذلك أجاب (**إنها مكافأة مني لنظام هذه الأمة وحكومتِها الرائعة، هذه الأمة التي تَضْرِبُ أروعَ الأمثال في الجهد والاجتهاد والتعاونِ والتدبيرِ والنظام**)... وكان الشيخ سعيد فيما كان رياضياً من الطراز الأول فقد بَرَعَ في ميدان المصارعة والرماية وركوب الخيل، بالإضافة إلى اتقانِهِ استعمالَ مختلفِ الأسلحة في عصره... وفوق هذا كلِّه فقد كان يتحلى بشجاعة نادرة، جعلتْه لا يَخافُ في الله لومةَ لائم...

وقد شَعَرَ في صدر حياته بالحاجة إلى العلومِ الكونية وغيرها من العلوم التي يحتاج إليها الإنسان لمواكبة عصره، فانكبّ على الدراسة والبحث والتحصيل، **وفي فترة قصيرة تمكَّنَ من إتقان علوم الرياضيات والجيولوجيا والجغرافيا والتاريخ، والفلسفة القديمة والحديثة، كما أتقن عدداً من اللغات**

الأجنبية إضافةً إلى اللغة العربية لغةِ دينه، واللغةِ التركية لغةِ دولته، واللغةِ الكردية لغةِ أهله وعشيرته. . . . وكان نبوغُهُ العجيب الذي ظهر في كل نواحي حياته العلمية سبباً في أن يتَّفق علماءُ عصره على أن يُطْلِقوا عليه لقبَ (**بديع الزمان**). . .

شبَّ هذا الرجل، وتفتَّحت آفاقُه والمؤامرتُ الماسونية والصهيونية تعصِفُ بالدولة العثمانية، وهي تَبُثُّ في نفوس الجيل المثقف من الشباب بأنه لا بدّ من إسقاطِ الخلافة الإسلامية والتخلصِ من أحكام الإسلام في سبيل التقدم والرقي والتحضر، وإقامةِ دولة حديثة تُبنى قواعِدُها على أسسٍ علمانية لا تمتّ إلى الدين بصلة. . !

وكان (بديع الزمان) بحكم اهتمامِهِ بالشؤون العامة يقرأ الجرائد صباح كلّ يوم، فهالَهُ ذاتَ صباح خبرٌ مثير نشرته إحدى الصحف، وقالت فيه: (**إنَّ وزير مستعمرات إحدى الدول الأوروبية قام خطيباً في أحدِ الاجتماعات وقال: ما دام القرآن بين أيدي المسلمين معزّزاً مطاعاً، فإنه سيُعيق سبيلَنا. ولا بد لنا كي نحقق النصرَ عليهم ونسيطرَ سيطرة أبدية على بلادهم، لا بدّ لنا من أن نحول بينهم وبين هذا الكتاب !**). . . . فثارت ثائرة (بديع الزمان)، وقَطَعَ العهدَ على نفسه، بأن يكرِّس حياته وما يملِكُ لخدمة القرآن، والدعـوةِ إلى التمسك بالقرآن، وبيانِ عظمة القرآن، وأنه كتابُ اللهِ الخالد الذي ضمن السعادةَ للبشريةِ في الدنيا والآخرة. . .

ثم قصد (استانبول) عاصمة الخلافة وأسّس فيها مدرسةً إسلامية أسماها (الزهراء) اشتقاقاً من اسم (الأزهر) ولتكونَ على منواله في العناية بالقرآن الكريم وعلومِهِ بصورة خاصة، والعنايةِ بعلوم الدين الإسلامي واللغة العربية بصورة عامة. . . وتصادف أن كان الشيخ (بخيت) شيخُ الجامع الأزهر حينذاك قادماً إلى (استانبول) في سياحة فالتقى بـ (بديع الزمان) في بعض المجالس،

ودارت بينهما أحاديث كثيرة، كان من بينها هذا السؤال الذي وجهه الشيخ (بخيت) إلى (بديع الزمان):

ما قولُكم في الدولةِ العثمانية، والأمةِ الأوروبية ؟

فأجاب بديع الزمان:

إنّ أوروبا اليوم حُبلى بالإسلام وستَلِدُه يوماً ما.
وإنّ الدولة العثمانية حُبلى بالنهج الأوروبي وستَلِدُه يوماً ما.

فقال الشيخ (بخيت) لمن حوله، وقد بَهَرَه الجواب:

إنّ مثل هذا الشاب لا يُناظر. إنّ جواباً وجيزاً بليغاً صادقاً مثلَ هذا الجواب لا ينطِقُ به إلّا من كان مثلَ (بديع الزمان) !

وفي عام (١٩٠٨) ميلادية ظهرت (جمعية الاتحاد والترقي)... وعرف الناس أنَّ أصحابها لا يريدون خيراً بالإسلام والمسلمين وأنّ أعضاءَها في حقيقتهم أتباعٌ موالون للماسونية والصهيونية، **فسارع (بديع الزمان) إلى تأليف جمعية إسلامية أسماها جمعية (الاتحاد المحمدي)، سرعان ما انضم إليها ألوفُ الناس من شتى أرجاءِ الدولة العثمانية...**

ولقد رأى (بديع الزمان) أنَّ محاربةَ أفكار (جمعية الاتحاد والترقي) بصورة مباشرة لا تفيد كثيراً، نظراً لأنّ كثيراً من بسطاءِ المسلمين قد افتُتِنوا بمفاهيمها وأساليبِ أعضائها، فراح (بديع الزمان) ينادي بنفس الشعارات التي ينادي بها أعضاءُ (جمعية الاتحاد والترقي) وهي العدالةُ والحريةُ والمساواةُ، ولكنّه أخذ يُلِحُّ على ربط ذلك كلِّه بمبادىء الإسلام وتشريعاته، وراحَ يُجَنِّدُ في سبيلِ ذلك المقالاتِ الثورية اللاهبة...

وكان من الطبيعي أن تُثِيرَ مقالاتُ (بديع الزمان) مخاوفَ (الماسونيين) فأرسلوا إلى (بديع الزمان) رئيسَ محفلهم آنذاك الثريَّ اليهودي (قرصُّو) ليقنعَهُ

بالتوقف عن كتابَةِ تلك المقالات. . . . ولكنّ (قرصُّو) ما لَبِثَ أن رجع من اجتماعه الطويل بـ (بديع الزمان) ليقول لرفاقه:

هل تصدّقون ؟. . . لقد كـاد هذا الـرجل العجيب أن يُـدْخِلَني في الإسلام. . . إنّ حجته قويّة، وحديثَه ساحر، وإيمانَه بما يعتقدُ عجيب. . .

وهذا الـ (قرصُّو) ـ أيها الإخوة والأخوات ـ هو أحد الصهاينة الماسونيين الأوائل الذين عَمِلوا بجد واجتهاد على إسقاط الخلافة العثمانيـة، وخَلْعِ السلطان عبد الحميد، والتمهيد لاغتصابِ فلسطين. . !

وعند ذلك لم يجد المسيطرون على زمام الدولة العثمانية في ذلك الحين وهم من أَسْمَوْا أنفسَهم (جماعةَ الاتحاد والترقي) لم يجدوا بدّاً من إلقاء القبض على (بديع الزمان) ليوقفوا نشاطه، ويضعوا حدّاً لمقالاته، فقبضوا عليه في حادثةِ آذار (مارس) عام ١٩٠٩ ميلادية، هذه الحادثة التي أعدموا فيها (١٥) خمسة عشر عالماً من علماء المسلمين، وقدّموه إلى نفس المجلس القضائي الذي حكم بالإعدام على أولئك الشهداءِ الخمسة عشر، قاصدين تخويفَهُ وإرهابه. . !

وتوجّه رئيس المحكمة (خورشيد باشا) إلى (بديع الزمان) يسأله ويقول:

ماذا تقصِدُ من الدعوة إلىَ تطبيق الإسلام ؟ ما علاقتُكَ بجمعية الاتحاد المحمدي ؟ ما الهدف من مقالاتك الصحفية المثيرة ؟

فقام بديع الزمان سعيد النورسي وألقى على مسامع المحكمة خطاباً رائعاً جامعاً جاء فيه:

يـا حضرات القضاة:

لقد قلت لكم إنني طالبُ علم. إنني إنسانٌ مسلم، أَزِينُ كلَّ شيء بميزان الشريعة الإسلامية. وأقسِمُ بالله العظيم لو أنّ لي ألفَ روح لما تردَّدت في أن

أبذلها واحدة تلوَ الأخرى فداءً لحقيقة واحدةٍ من حقائق الإسلام. . .

إنني أقولُ لكم وأنا أقف أمام البرزخ الذي تسمُّونه السجن، في انتظار القطار الذي يمضي بي إلى الآخرة، لا لتسمعوا أنتم وحدَكم، بل ليتناقلَ العالمُ كلُّه كلامي:

لقد حان للسرائر أن تنكشف وتبدوَ من أعماقِ القلب، فمن كان غيرَ مَحْرَمٍ فلا ينظرْ إليها. . .

إنني مشتاق إلى الآخرة. . . وأنا مستعدٌّ للذهاب مع هؤلاء الذين عُلِّقت مشانقهم. . . ووالله الذي لا إله إلاّ هو إنني أكثرُ شوقاً إلى الدار الآخرة، من ذلك البدويّ البعيد المشتاق للسفر إلى (استانبول). . . !

وقد سألتموني عن علاقتي بجمعية الاتحاد المحمدي. وجوابي: إنني أعتزُّ وأفتخر بأنني أحد أعضائها وأرجو الله أن أكون على مستوى أهدافها الرفيعة ومقاصدِها السامية في خدمةِ الإسلام والمسلمين. . . ولكن أخبروني من فضلِكم.

إذا كانت هذه الجمعية تَضُمُّ الفضلاءَ العقلاءَ العلماءَ المخلصين من هذه الأمة فمن يكونُ خارجَها ؟ ! أليس السفهاءُ والأراذلُ والمجانينُ ؟ !

أمّا مقالاتي الصحفية التي وُصِفَتْ بأنها مثيرة. . . فقد تصدّيتُ من خلالها للردّ على أنصارِ الماسونية ودعاةِ التفرنج من الصحفيين، وقلت لهم:

إن على الأديب أن يكون أديباً في دعوته، خصوصاً إذا كان سمعَ الأمةِ ولسانَها ! وإنني أكررُ القولَ الآن: إنّ العالمَ الجليلَ الوقور لا يناسبه أن يلبس لباس الراقصين وإنّ استانبول مركزَ الخلافة الإسلامية لا يناسبها ولا يناسب حكومتَها ولا يناسِبُ رجالها أن يتخلقوا بأخلاق الكَفَرةِ والملاحدة والمارقين.

يا حضرات القضاة:

لقد كانت الحكومة تخاصم العقل في أيام الاستبداد... أما حكومتكم الآن فإنها تعادي الحياة... وإذا كان الأمرُ هكذا... فليعش الجنون... وليعش الموت... ولتعِش جهنّمُ للظالمين.

obeikandl.com

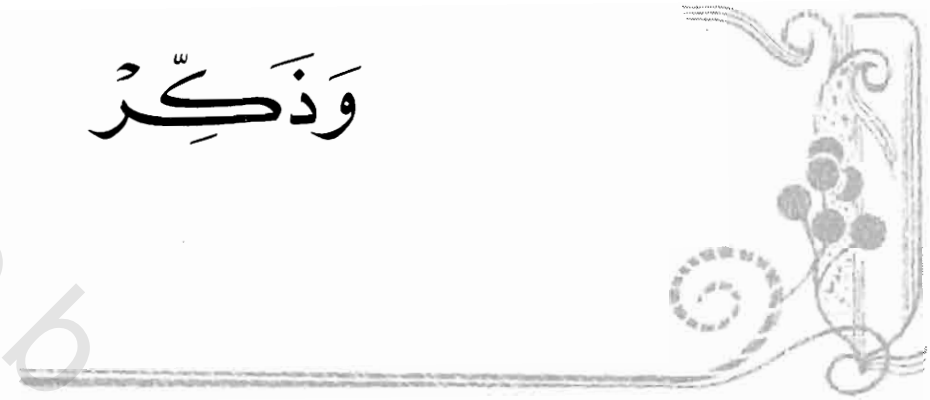

وقفتنا هذا اليوم مع باقة من قصص سلفنا الصالح وتوجيهاتهم وإرشاداتهم، وأخلاقهم الحميدة وأعمالهم المجيدة في ميدان عبادتهم لله وحده لا شريك له وطاعتهم لأوامره، واجتنابهم لمعاصيه، وحبهم له، وخوفِهم منه، وثقتِهم بفضله وإحسانه، وشوقهم إلى جنته ورضوانه.

وفي كل وردة من هذه الباقة صورةٌ من صور الأسوة الحسنة التي يمكن أن نتأسى بها، ومثلٌ من أمثلة القدوة الصالحة لأنفسنا وأهلينا، ونورٌ ساطع وهّاج للباحثين عن نورٍ يضيء قلوبهم، ويفتح بصائرهم:

● **جاء رجلٌ إلى إبراهيمَ بن أدهم رحمه الله فقال: إنّي مُسْرِفٌ على نفسي، فدلَّني على ما يكون لها زاجراً ومنقذاً.**

فقال إبراهيم: إذا استطعتَ أن تفعل خمسةَ أشياء، فإنّ معصيةَ الله لا تضرُّك!

قال الرجل: وما هي يرحَمُكَ الله؟

فقال إبراهيم: ـ لا تأكلْ من رزق الله!

ولا تسكنْ مكاناً من بلاد الله!

ـ وقم بالمعصية في مكان لا يراك فيه الله !

وإذا جاءك مَلَكُ الموت فقلْ له: أخّرني حتى أتوبَ توبةً نصوحاً، وأعْمَلَ لله صالحاً !

ـ وإذا جاءتك زبانيةُ يومِ القيامة ليأخذوك إلى النار فلا تذهبْ معهم !

فقال الرجل: وكيف استطيعُ ذلك يا ابنَ أدهم!

فقال إبراهيم: فكيف إذن تطلب النجاة ممن بيدِه الرزق، وله المشرقُ والمغرب، وله الأمرُ كلُّه، ويَعْلَمُ خائنة الأعين وما تخفي الصدور ؟ !

فبكى الرجل بكاء شديداً، وتاب إلى الله توبة نصوحاً، وكان من الصادقين.

● **وجاء رجل إلى التابعيّ الجليل (أبي حازم) رحمه الله فقال له:**
يا أبا حازم ما شكرُ العينين ؟

فقال أبو حازم: إنْ رأيت بهما خيراً أعلَنْتَه. وإنْ رأيت بهما شراً سترته.

قال الرجل: وما شكرُ الأذنين ؟

فقال أبو حازم: إن سمعت بهما خيْراً وَعَيْتَه، وإن سمعتَ بهما شراً أَخْفَيْتَه.

قال الرجل: فما شكر اليدين ؟

فقال أبو حازم: أَنْ لا تأخذَ بهما ما ليس لهما، وأَنْ لا تمنعَ حقاً لله هو فيهما.

فقال الرجل: جزاك الله خيراً من عالمٍ جَمَعَ فأوعى، وناصحٍ وعظ فأوجز.

● **وكان أبو المساكين جعفرُ بنُ جعفرَ بنِ أبي طالب رضي الله عنه يسير**

على ناقته، فاستوقفه سائل وطلب إليه أن يَعْطيَهُ من مال الله، فَنَزَلَ جَعْفَرُ من على الناقة وأعطاها للسائل بما عليها، وكان عليها أربعةُ آلاف درهم، وسيفٌ من سيوف علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه. . . فقيل له: لقد أَكْثَرْتَ في بذلِ المال ! فقال جعفرُ رضي الله عنه؛ إنّ الله قد عوّدني أَنْ يجودَ عليّ، وعوّدتُهُ أَنْ أجودَ على عباده، فأخاف أَنْ أَقْطَعَ فَيَقْطَعَ عنّي. !

● وروى التوزيُّ، قال:

رأيتُ امرأةً ورجلاً في مكانٍ خالٍ في ليلةٍ من الليالي:

قال الرجل للمرأة: أما من سبيلٍ إليك ؟

فقالت المرأة: أُنْظُرْ هل يرانا من أحد ؟

قال الرجل: ما ترانا إلّا الكواكب.

فقالتِ المرأة: فأينَ مكوكُبها ؟

فانصرف الرجل مدهوشاً مَخْزِيّاً لا يتكلم.

● وقال أبو هريرة رضي الله عنه:

التقى شيطانُ المؤمن وشيطانُ الكافر فإذا شيطانُ الكافر دَهين سمينٌ كاسٍ، وإذا شيطان المؤمن مهزولٌ أَشعثُ أغبرُ عارٍ.

فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن: ما لَك مهزولٌ ذليل ؟

قال: أنا مع رجل إذا أكل سمّى الله ـ أي قال باسم الله ـ فأظلُّ جائعاً، وإذا شرب سمّى الله فأظلُّ عطشان، وإذا لَبِس سمّى الله فأظل عارياً، وإذا ادّهن ـ أي تطيب ـ سمى الله فأظلّ أشعث أغبر.

فقال شيطان الكافر: أمّا أنا فمع رجلٍ لا يفعل شيئاً من ذلك، فأنا أشاركُهُ في طعامه وشرابه ولباسه وطيبه.

● وَرُوِيَ عن لقمان الحكيمِ عليه السلام أنّ ابنه قال له:

يا أبتِ أيُّ الخصالِ من الإنسان خير ؟

قال: الدِّين.

قال: فإذا كانت اثنتين ؟

فقال لقمان: الدّينُ والمالُ.

قال: فإذا كانت ثلاثاً ؟

فقال لقمان: الدّينُ والمالُ والحياء.

قال: فإذا كانت أربعاً ؟

فقال لقمان: الدينُ والمالُ والحياءُ وحسنُ الخلق.

قال: فإذا كانت خمساً ؟

فقال لقمان: الدينُ والمالُ والحياءُ وحسنُ الخلقِ والسخاء.

قال: فإذا كانت ستاً ؟

فقال لقمان عليه السلام:

إذا اجتمعت فيه الخمسُ خصال فهو نقيٌّ تقيّ، ولِلّه وليّ، ومن الشيطان بريّ.

● **وأخبر يحيى بن بسطام قال:**

دخلت يوماً مع نفرٍ من أصحابنا على (عفيرةَ) العابدةِ الضريرة، وكانت قد تعبَّدتْ وبكتْ خوفاً من الله تعالى حتى عَمِيَتْ، فقال بعض أصحابنا لرجل إلى جنبه: ما أشدَّ العمى على من كان بصيراً ؟

فسمعت (عفيرةُ) قوله فقالت: يا عبدَ الله عمى القلبِ عن الله أشدُّ من عمى العين عن الدنيا، وإنّي لوددت أنّ الله تعالى وَهَبَ لي كُنْهَ محبتهِ، ولم يُبْقِ منّي جارحةً أو حاسَّةً إلا أَخَذَها !

● **وتلاقى شقيق البلخي وإبراهيم بن أدهم رحمهما الله ذات يوم، فقال**

إبراهيم لشقيق: ما هو الأمر الذي صَيَّرَكَ إلى ما أنْتَ عليه ؟

فقال شقيق: سرتُ في بعض الفلوات فرأيت طيراً مكسورَ الجناحين في فلاة من الأرض، فقلت سَأرى من أين يُرْزَق؟ وجلست أرقبُهُ، فإذا أنا بطير قد أقبل وفي منقاره جرادة، فوضعها في منقار الطير المكسور الجناحين، فقلت:

إنّ الله تعالى الذي رزق ذلك الطير الكسيرَ في الفلاة، لقادر على أن يـرزقني حيثما كنت، **فتـركتُ التكسُّبَ والعمل وانصـرفت إلى الاشتغـالِ بالعبادة**...

فقال إبراهيم بن أدهم: يا شقيق ولِمَ لا تكون أنت الطائرَ الصحيح الذي أَطْعَمَ الطائر الكسيرَ العليل، فتصبحَ أفضل منه ؟ أما سمعتَ قولَ نبِيّنا عليه أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم **(اليدُ العليا خيرٌ من اليد السفلى)** ؟

فانكبَّ شقيقُ البلخيّ على يدِ إبراهيم بن أدهم يقبّلها ويقول:
أنت أستاذنا، أنت أستاذنا والله يا أبا إسحق.

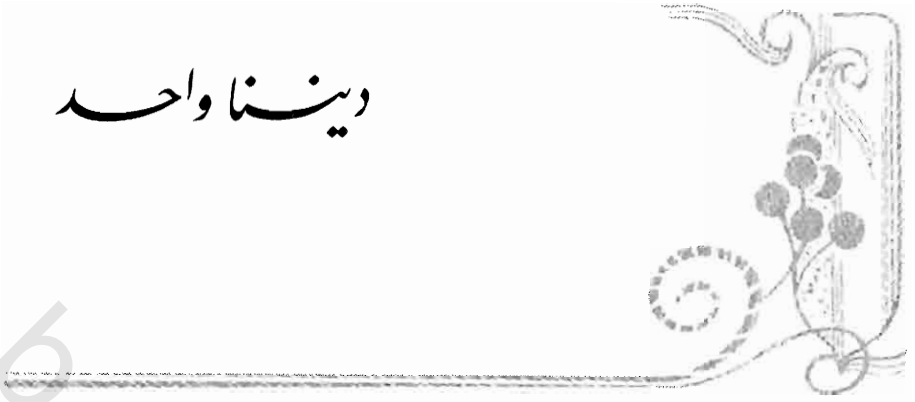

ديننا واحد

الأديانُ السماويةُ في حقيقتها وجوهرها ومبادئها الأساسية شيء واحد لا تناقضُ بينها ولا اختلاف، وهي منذ أنزل الله آدم عليه السلامُ إلى الأرض وجَعَلَه نبياً إلى أن بعث الله محمداً للناسِ كافة خاتماً للأنبياء والمرسلين، **هي دعوةٌ إلى توحيد الله وإفراده بالعبادةِ والخَلْقِ والرزق، وتحريرِ الإنسان من أهواء النفس ومشاغل الدنيا، وأوضار الأهواء، ثم هي دعوةٌ أيضاً إلى اتّباع الرسل وتصديقِهم، والالتزام بِما يدّعُون إليه، واجتنابِ ما يَنْهَوْن عنه، ودعوةٌ إلى الإيمان باليوم الآخر، ولقاءِ الله بعد الموت، ومواجهةِ الحساب والجزاء إنْ خيراً فخير، وإنْ شرّاً فشرّ**. . .

. . . وبعد هذا وذاك فالأديان السماوية كُلُّها وسائلُ ومعارجُ للارتقاء بابنِ آدم المخلوق البشري الترابي إلى مدارجِ الصلاح والكمال والملائكية، ليصبحَ بتعاليمها وتوجيهاتها وأنوارها إنساناً سوياً، وعضواً خيّرا يُشَكِّلُ مع غيره من الأسوياءِ الأخيار المجتمعَ الصالحَ المعطاء.

يقول الله تعالى في كتابه العزيز موضحاً أن الأديان السماوية شيء واحد من حيث مصدرُها وأسسُها وأهدافُها العامة: ﴿شَرَعَ لكم من الدين ما وصَّى به نوحاً، والذي أوحينا إليك، وما وصَّيْنَا به إبراهيمَ وموسى وعيسى، أن أقيموا

الدينَ ولا تتفرّقوا فيه، كَبُرَ على المشركين ما تَدْعُوهم إليه، الله يجتبي إليه من يشاء، ويَهْدي إليه من ينيب﴾[1].

ويقول الله جلّ جلاله: ﴿ولقد بعثنا في كلِّ أمةٍ رسولاً، أَنِ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[2].

ويقول عزّ شأنُه: ﴿وما أرسلنا مِنْ قَبْلِكَ من رسول إلّا نوحي إليه أنّه لا إلهَ إلّا أنا فاعبدون﴾[3].

وفي الحديث الشريف الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه، يقول رسول الله ﷺ: ﴿إنّا معشرَ الأنبياء دينُنا واحد﴾.

والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً هم سفراءُ الحق إلى الخلق يَشْرَبُون من يَنْبوع واحد، ويُرْشِدون الناس إلى إله واحد، ويَسْعَوْن إلى هدفٍ واحد هو الوصول بالإنسان إلى الفوزِ في الدنيا والنجاةِ في الآخرة؛

● **عن عبدالله بن عَمْروٍ قال: كنّا عند رسول الله ﷺ فقال: إنّ نبيّ الله نوحاً ﷺ لما حَضَرَتْهُ الوفاة قال لابنه:** إنّي قاصٌّ عليك الوصيّة؛ آمُرُكَ باثنتين، وأنهاك عن اثنتين؛ آمُرُكَ بلا إله إلّا الله فإنّ السمواتِ السبعَ، والأرضينَ السبعَ لو كُنَّ حَلْقَةً مبهمة، قَصَمتْهُنَّ لا إله إلّا الله، وسبحان الله وبحمده، فإنّها صلاةُ كلِّ شيء، وبها يُرْزَقُ الخَلْق. وأنهاك عن الشِّرْكِ والكبر.

قال: قلت يا رسولَ الله، هذا الشركُ قد عرفناه، فما هو الكِبْر؟ هل الكِبْرُ أَنْ يكون لأَحدِنا دابَّةٌ يركبها؟ قال: لا. قلت: فهل هو أن يكون لأحدنا أصحابٌ يجلسون إليه؟ قال: لا. قيل: يا رسول الله فما الكِبْر؟ فقال عليه السلام:

---

(١) سورة الشورى: الآية ١٣.
(٢) سورة النحل: الآية ٣٦.
(٣) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

الكِبْرُ سَفَهُ الحق، وغَمْضُ الناس.

● **وعن أبي ذَرٍّ الغفاريّ رضي الله عنه قال: قلت يا رسولَ الله: ماذا كانت صحفُ إبراهيم ؟** فقال عليه السلام: كانت أمثالاً كلُّها:

أيها المَلِكُ المسلَّطُ المبتلى المغرور، إنّي لم أبعثْك لتجمعَ الدنيا بعضَها على بعض، ولكن بعثْتُك لِتَرُدَّ عني دعوةَ المظلوم فإنّي لا أردُّها وإن كانت من كافر.

وعلى العاقل ما لم مغلوباً على عقله، أن يكونَ له ساعات؛ ساعةٌ يناجي فيها ربَّه، وساعةٌ يحاسب فيها نفسه، وساعةٌ يفكِّر فيها في صنع الله، وساعةٌ يخلو فيها لحاجتِهِ من المطعم والمشرب.

وعلى العاقلِ أن لا يكون مسافراً إلّا لثلاث؛ تزوّدٍ لمعاد ـ أي استعداد للدار الآخرة ـ أو مرمَّةٍ لمعاش ـ أي سعي في مصالح الدنيا ـ أو لذةٍ في غير محرّم.

وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه.

ومَنْ حَسَبَ كلامَهُ من عمله، قلَّ كلامُهُ إلّا فيما يعنيه.

● **وروي عن نبيّ الله موسى عليه الصلاة والسلام أنه قال:**

يا ربّ أقريبٌ أنت فأناجيَك، أم بعيدٌ فأنادِيَك ؟ فإنّي أُحِسُّ حِسَّ صوتِك ولا أراك، فأين أنت ؟

فقال الله تعالى: أنا خلفَك وأمامَك، وعن يمينك وشمالِك يا موسى. أنا جليسُ عبدي حين يذكرني، وأنا معه إذا دعاني.

ورُوِي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال:

يا ربّ ما الذي ينبغي أن أعمل ؟

فقال الله عزّ وجلّ:

لا يزال لسانُك رطباً من ذكري، وقلبُك وَجِلاً من خشيتي، وبدنُك مشغولاً بخدمتي.

● **وأوحى الله جلّ جلاله إلى نبيه داود عليه الصلاة والسلام:**
يا داود إنّ العبد ليأتي بالحسنةِ يومَ القيامة فأُدْخِلَهُ بها الجنّة.
فقال داود عليه السلام:
ومن هذا العبد يا ربّ ؟
فقال الله تعالى:

مؤمنٌ يَسْعى لأخيهِ المؤمن في حاجته يُحِبُّ قضاءَها، قُضِيَتْ على يديهِ أَوْ لَمْ تُقْضَ...

يا داود حذّر بني إسرائيل من كلِّ الشهوات، فإنّ القلوبَ المتعلقةَ بالشهواتِ محجوبةٌ عنّي.

● **وسئل السيد المسيح عليه الصلاة والسلام عن أعظم خطيئة فأجاب:**
أيُّ الخرابِ أعظمُ في البيت ؟ فَسَكَتَ كلُّ السامعين.

فأشار عليه السلام إلى الأساس وقال:

إذا تزعزع أساسُ البيت سَقَطَ خراباً، فَيَلْزَمُ إذ ذاك أن يُبنى جديداً، ولكنْ إذا تداعى أيُّ جزءٍ سواه فإنه يمكن ترميمُه، ولذلك أقولُ لكم:

إنّ عبادة الأصنامِ هي أعظمُ خطيئة لأنّها تجرّدُ الإنسانَ بالمرّة من الإيمان، فتجّرِدُهُ من اللهِ بحيث لا تكون له محبةٌ روحية. ولكنّ كلَّ خطيئةٍ أخرى تَتْرُكُ للإنسان أملاً بالرحمة. ولذلك أقول لكم: إنّ عبادةَ الأصنام أعظمُ خطيئة.

● **وجاء محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه خاتماً للأنبياء**

والمرسلين، يحمل رسالةَ الله الأخيرةَ إلى عباده جميعاً أبيضهم وأسودهم عربيهم وعجميّهم، مؤكّدةً ما سبق من مبادىء الرسالات وتوجيهات النبيين، مبطلة تحريفاتِ المحرّفين، كاشفةً زَيْفَ المضلين، مُكْمِلةً ما اقتضته حاجات الإنسان على ضوء كمال نضوجه وتطور أحواله، مراعيةً تبدلَ الظروف وتغيرَ الأزمان...

جاء محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه بالإسلام، يُعْنَى بالإنسان جسماً وعقلاً وروحاً ومتطلبات، ويدعو إلى عِمارة الأرض والاحتفال بالحياة الدنيا دعوتَهُ إلى عمارة الآخرة والتسابق إلى الفوز بالجنّة، ويقيمُ على الأرضِ دولته العالمية التي جَعَلَتْ لا إله إلّا الله محمدٌ رسول الله شعارَها، ونُصرةَ الحق دعوتَها، وتعميمَ المساواةِ والعدالةِ سبيلَها، وتوجيهَ الإنسان إلى عبادة الواحد الدّيّان غايتَها؛

يقول رسول الله ﷺ: **(أيها الناس إنّ ربكم واحد وإنّ أباكم واحد كلكم لآدم وآدمُ من تراب. ليس لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أحمرَ فضلٌ إلا بالتقوى)**.

ويقول الله تعالى: **﴿إنّ الله يأمرُكم أنْ تؤدُّوا الأماناتِ إلى أهلِها وإذا حكمتم بين الناسِ أنْ تحكموا بالعدل﴾**[1].

ويقول جل جلاله: **﴿إنما المؤمنون إخوة فأصْلِحوا بين أَخَوَيْكُم﴾**[2].

ويقول رسول الله ﷺ: **(لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّهُ لنفسه)**.

ويقول عليه الصلاة والسلام: **(الإسلام ثمانية أسهم؛ شهادة أن لا إله إلا**

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٨.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٠.

الله وأنَّ محمداً رسول الله، وإقامةُ الصلاة، وإيتاءُ الزكاة، وصومُ رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً، والجهادُ في سبيل الله، والأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر).

ويقول صلوات الله وسلامه عليه: **(الإيمانُ بضعٌ وسبعون شعبة، أعلاها لا إله إلاّ الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. والحيـاءُ شعبة من شعب الإيمان).**

وبعد، فقد كان من الطبيعي بعد أن أكمل الله دينَه بالإسلام وأتم نعمته على البشرية ببعثةِ محمد عليه الصلاة والسلام أن يُصْدِرَ حكمَه القاطع في قولِهِ الجامع المانع:

﴿قل آمّنا بالله وما أُنْزلَ علينا وما أُنْزِلَ على إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى والنبيُّون من ربّهم لا نفرِّقُ بين أَحَدٍ منهم ونحن له مسلمون. ومَنْ يبتغِ غيرَ الإسلامِ ديناً فلن يُقْبَلَ منه وهو في الآخرةِ من الخاسرين﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٨٤ ـ ٨٥.

أمين الأمّة

أبو عبيدة عامر بن الجرّاح رضي الله عنه أحد السابقين الأولين إلى الإسلام الذين صَمَدوا أمامَ قريش وطغيانِ المشركين وجبروتِهم حتى أَذِنَ رسولُ الله ﷺ بالهجرة من مكة إلى المدينة **فكان في أوائلِ المهاجرين.**

شَهِدَ موقعة (بدر) مع رسول الله ﷺ وكان من أبطالها الغرّ الميامين...

وشهد موقعة (أحد)، موقعةَ الصبر والثبات والعزيمة والإيمان، فكان واحداً من بين خمسة عشر صحابياً صَمَدوا حول رسول الله ﷺ عندما جُرِح، وافتدَوْهُ بصدورِهم وأرواحِهم وسلاحهم.

ثم شهد المواقعَ كلَّها مع رسولِ اللهِ عليه أفضل الصلاة والسلام **وكان واحداً من مستشاريه البارزين وأعوانِهِ المتميزين** أمثالِ أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، وعثمانَ بن عفّان، وعليّ بن أبي طالب، وطلحة بنِ عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعدِ بن معاذ، وسعدِ بن عبادة رضوان الله عليهم أجمعين.

وكان أبو عبيدة عامرُ بن الجرّاح رضي الله عنه من أبرز القادة العسكريين الذين كَتَبَ الله على أيديهم فتوحَ بلاد الشام وتخليصَها من رَبقة الاحتلال

obeikandi.com

الروماني، وتحريرَ أهلها من ظلماتِ الشرك والطغيان، وتنويرَهم بنور الإسلام والإيمان. . .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى مع المحسنين، يَجزيهم الحير، ويُعْطيهم الجزيل بوعده القاطع ﴿هل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان ؟﴾[1] ﴿وَإنَّ الله لَمَعَ المحسنينَ﴾[2] **فقد شاء الله جلّ جلاله ومعه رسوله عليه الصلاة والسلام أن يكرما هذا الرجل المؤمن الصادق المهاجر المجاهد الفذّ** أبا عبيدة عامرَ بنَ الجراح. . .

فأمّا إكرام الله سبحانه وتعالى له فقد كان في بشارة الرسول عليه الصلاة والسلام له بأنّه من أهل الجنّة. وكان أبو عبيدة بذلك واحداً من عشرة من الصحابة الكرام بشّرهم رسول الله ﷺ بمغفرة الله لذنوبهم، ورضوانه عليهم، وأنّ الجنّة في انتظارهم، وهم ما يزالون على قيد الحياة. . . فما أروع هذه البشرى ! وما أعظمَ هذا التكريمَ الذي تفضّل به الرحمن الرحيم !

وأما تكريم رسول الله ﷺ لأبي عبيدة فقد كان في تسميته له بـ (أمين الأمة) فقد قال عليه الصلاة والسلام (لكل أمةٍ أمين، وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدة بنُ الجراح).

وكان رسولُ اللهِ ﷺ يكلّف أبا عبيدة بجَمْعِ صدقات القبائل ويأتَمِنُهُ عليها، وهكذا فَعَلَ أبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما بويع بالخلافة، فقد كلّف أبا عبيدة بأن يكون مسؤولاً عن حفظ أموالِ المسلمين وظلّ كذلك إلى أن توجّه إلى فتوحِ الشام.

ولمّا جاءت وفودُ نجران إلى النبي عليه الصلاة والسلام تُقَدِّمُ له الولاءَ

---

(١) سورة الرحمن: الآية ٦٠.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

والطاعة، طلبوا إليه أن يبعث معهم رجلاً أميناً يُحِقُّ الحق فيهم وينظّمُ أُمورَهم ويرعى شؤونهم، **فقال عليه الصلاة والسلام لهم: (لأبعثنَّ معكمَ رجلاً أميناً، حقَّ أمين) وقد تطلَّع أكابر الصحابة رضوانُ الله عليهم بمن فيهم أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه أن يقع اختيارُ النبي على أحدهم فينالَ شرف هذه الصفة، صفةِ الأمين حقاً. . . لكنّ الاختيار، اختيارَ النبي عليه الصلاة والسلام وَقَعَ على أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.**

ولنتوقف قليلاً ـ أيها الإخوة والأخوات ـ عند الأمانة، هذه الصفةِ العظيمةِ التي نال أبو عبيدة بنُ الجراح رضي الله عنه أعلى درجاتها، **إننا نجدُ أنها وثيقةُ الصلة بالإيمانِ بالله سبحانه وتعالى،** وعندما يفتقدها إنسانٌ معين فإنه يَخْرُجُ والعياذ بالله من حظيرة الإيمان، التي ليس بعدها إلاّ الكفرُ والنفاق فقد قال عليه الصلاة والسلام (لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له) وقال عليه السلام (آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وَعَدَ أخلف، وإذا ائتمن خان).

كذلك فإنّ الأمانة مسؤوليةٌ كبيرة وواجبٌ ثقيل تتطلَّبُ من حاملِها أن يَعْرِفَ قيمتها، ويؤديَ حقّ الله وحَقَّ عباده فيها دونما تقاعس أو تهاون أو غشٍ أو تقصير أو خداع أو تدليس، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إنّا عرضنا الأمانة على السمواتِ والأرضِ والجبالِ فأَبَيْنَ أن يَحْمِلْنَها وأشفقْن منها﴾[1]. ويقول جلَ جلاله: ﴿إنّ الله يأمُرُكم أَنْ تؤدُّوا الأماناتِ إلى أهلها﴾[2].

لذلك كلّه فإنّ الصفةَ الأساسية التي يتصف بها الإنسانُ الأمين هي صفةُ إنكار الذات، وبعبارةٍ أخرى فإنّ الإنسان الأمين سيّدُ نفسه، لا تؤثر في قراراته وأحكامه وتصرفاته، شهوةٌ أو هوى أو رغبةٌ أو رهبةٌ أو قرابةٌ أو مصلحة خاصة، بل يَحْكُمُ هذه القراراتِ والأحكامَ والتصرفاتِ خوفُ الله سبحانه وتعالى،

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٧٣.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٨.

وإحقاقُ الحق، وإيثارُ العدل، وتغليبُ الصالح العام.

والمتتبعُ لسيرةِ أبي عبيدةَ بن الجراح رضي الله عنه، يجد صفةَ إنكار الذات التي نال بسببها شرفَ أمانة الأمة، واضحةً كلَّ الوضوح في كل عمل من أعماله، وتصرف من تصرفاته، ورأي من آرائه؛

فقد واجه أباه الجرّاح في معركةِ (بدر) وقاتَلَهُ حيث كان الجرّاح يقاتل في صف المشركين؛ وفي أبي عبيدة وإخوانه المجاهدين الصادقين المخلصين نزل قول الله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخِرِ يُوَادُّون مَنْ حادَّ الله ورسولَه، ولو كانوا آباءَهم أو أبناءَهم أو إخوانَهم أو عشيرتَهم. أولئك كَتَبَ في قلوبهم الإيمان وأيَّدَهم بروحٍ منه ويُدْخِلُهم جنّاتٍ تَجْري مِنْ تحتِها الأنهارُ خالِدِين فيها، رَضِيَ الله عنهم ورَضُوا عنه. أولئك حزبُ الله، أَلَا إنَّ حزبَ اللهِ هم المفلحون﴾[1].

وفي غزوة (ذات السلاسل) التي أرسل الرسولُ عليه الصلاة والسلام لها جيشاً بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه، شَعَرَ القائد حيال بعض الصعوباتِ التي واجهته بحاجتِهِ إلى المدد، فأرسل يطلبُهُ من رسول الله ﷺ، فأمدّه عليه السلام بجماعة من المهاجرين والأنصار بقيادة أبي عبيدة بن الجراح... **وكادت أن تَحْدُثَ مشكلةٌ كبيرة بسبب قيادة الجيش العامة؛ فقد رأى عمرو بنُ العاص أنَّ القيادة له وأنّ أبا عبيدة ليس إلّا قائدَ إمداد لجيشه وعلى أبي عبيدةَ أن ينضوي تحت إمرته!**

فأجابه المهاجرون والأنصار القادمون مع أبي عبيدة: أنت أميرُ جندك أما نحن فأميرُنا أبو عبيدة!

واشتدّ الجدال، واحتدّ الحوار، **فإذا بأبي عبيدةٍ رضي الله عنه يحسِمُ هذا**

---

(١) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

الأمر ويُنْهِي هذه المشكلة بقوله مخاطباً عمرواً بنَ العاص رضي الله عنه:

يا عمرو لقد كان آخرَ ما عَهِدِ به إليَّ رسولُ الله ﷺ أن قال: إذا قَدِمْتَ على صاحبك، فتطاوعا ـ أي لِيُطِعْ أحدُكما الآخر ـ ولئن عصيتني لأُطِيْعَنَّك!

وأطفأ أبو عبيدةَ رضي الله عنه نيرانَ هذه الفتنة الكبرى بهذه السماحة، وهذا الترفع، وهذا القلب الكبير.

وعندما انتقل الرسولُ عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى، بادر عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه إلى أبي عبيدة وطلب منه الموافقة على أن يكون خليفةً للمسلمين وقال له: يا أبا عبيدة أُبسط يَدَك لنبايعك بالخلافة فأنتَ أمينُ الأمة.

ولكنّ أبا عبيدة المؤتمنَ على دينِهِ وأمته، العارفَ بأقدار الرجال من إخوانه صحابة رسول الله ﷺ، يعتذرُ ويقول معاتباً:

كيف تبايعُني يا أبا حفص، وفينا أبو بكر الصديق، ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا.

وعندما أمدّ أبو بكر الصديق جيوشَ الشام التي كان يقودها أبو عبيدة بنُ الجراح بخالد بن الوليد وجيشِه، جَعَلَ القيادة العامة في يد خالد بن الوليد، وأصبح أبو عبيدةَ تحتَ إمرة خالد، **فقبل أبو عبيدةَ ذلك برضى نفس وطيب خاطرَ وكان له خيرَ مستشار ومساعد، رغم أنّ أبا عبيدة أسبقُ إسلاماً وأكبرُ سناً من خالد بن الوليد!**

وفي (عمواس) وهي منطقةٌ بين القدس والرملة في فلسطين، يشاء الله سبحانه وتعالى أن ينتقل أبو عبيدةُ بنُ الجراح إلى جواره راضياً مرضياً وهو يرسم آخر صورة من صور التضحيةِ والفداءِ ونكرانِ الذات، فقد أصيب الجيش بالطاعون وصار الناس يموتون بالمئات، ووصل الخبر إلى مقرّ الخلافة

في المدينة المنورة، فأرسل أميرُ المؤمنين عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي عبيدة يستحِثُّهُ على مغادرة الشام والقدوم إلى المدينة فقد خشي عليه من هذا الوباء، **فكتب أبو عبيدة إليه يقول: (إني يا أمير المؤمنين في جُنْدِ المسلمين، ولن أرغب بنفسي عنهم. وإنك يا أميرَ المؤمنين تستبقي من ليس بباق. فإذا أتاك كتابي هذا فَحُلَّني من عَزْمَتِك، واذَنْ لي في الجلوس)**.

فلم يُرِدْ رضي الله عنه أن يتميّز عن جنوده، بل بقي بينهم صابراً محتسباً مؤمناً راضياً بقضاء الله وقدره حتى أتاه اليقين.

وكانت وصيتُه للناس وهو يَلْفِظُ أنفاسَهُ الأخيرة:

(أوصيكم بالقيام بفرائض الدين. تواصَوْا بالحق وتواصَوْا بالصبر. انصحوا لأمرائكم ولا تَغُشُّوهم. لا تُلْهِكُمُ الدنيا، فلو عُمِّرَ أَحَدُكم ألفَ عام، ما كان له بُدٌّ من أن يَصِيرَ إلى مصرعي هذا الَذي تَرَوْن. لقد كَتَبَ الله الموتَ على بني آدم. وأَعْقَلُ بني آدم أطوعُهم لله، وأعملُهم ليوم معاده).

وفي المدينة المنورة بكاه المسلمون، وبكاه أمير المؤمنين عمرُ بنُ الخطابَ وقال: **(وددت لو استخلفتُهُ من بعدي)**.

رضي الله عن أبي عبيدة عامرِ بن الجراح فقد ضرب لنا أروع أمثلة التضحية والفداء ونكرانِ الذات.

رضي الله عنه فقد كان بحق أمينَ الأمة الإسلامية.

قرة العين

من أحاديثه الشريفة قوله عليه الصلاة والسلام:

(إذا قام العبدُ إلى صلاته ذُرَّ البِرُّ على رأسه حتى يركع. فإذا رَكَعَ عَلَتْه رحمة الله تعالى حتى يسجد. والساجدُ يَسْجُدُ على قدمي الله فَلْيَسْأَلْ وَلْيَرْغب).

وقولُه عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه: **[قال الله عزّ وجلّ قَسَمْتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل؛ فإذا قال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ قال الله: حمدني عبدي. وإذا قال: ﴿الرحمن الرحيم﴾ قال الله: أثنى عليّ عبدي. فإذا قال: ﴿مالك يوم الدين﴾ قال الله: مَجّدني عبدي وقال مرة: فوض إلي عبدي فإذا قال: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿اهدنا الصراطَ المستقيم صراطَ الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالّين﴾ قال الله: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل].**

فالصلاة إذنْ لقاءٌ متجدد بين العبد وبين الخالق سبحانه وتعالى، لا يحتاج فيه العبد إلى موعدٍ مسبق، أو استئذان من أحد، أو واسطةٍ أو ترجمان... وكلُّ ما في الأمر أن يتوضأ الإنسان المسلم رجلاً كان إمرأة فيحسنَ الوضوء ويلبسَ

obeikandl.com

ثوباً طاهراً، ويَقفَ في مكان طاهر مُولّياً وَجْهَهُ شطرَ المسجدِ الحرام، فإذا فعل هذا وهو سهلٌ يسير فما عليه إلاّ أَنْ يبدأ صلاتهَ بالتكبير لِيَجِدَ نفسه بين يدي الله الخالقِ القدير، السميعِ البصير، العليّ الكبير...

ويعلِّمنا الرسولُ عليه الصلاة والسلام بأنَّ العبد إذا قام إلى صلاتِهِ ذُرَّ البِرُّ على رأسِهِ حتى يركع. والبِرُّ كلمةٌ تَجْمَعُ كلَّ صنوف الخير من توفيق وبركةٍ وصلاحٍ ورزقٍ وفَهْمٍ وعلم وحُسْنِ خلق.... وإذا كان الناس يزفّون العروسين فرحاً لهما بأن يَنْثروا عليهما مثاقيلَ الذهب والفضة أو حباتِ اللؤلؤ والمرجان أو أزرار الورد والفل والريحان ويرشوهما بماء الزهر وأنواع الطيب، فإنّ الله سبحانه وتعالى ـ ولـه المَـثَـل الأعلى ـ ينثر ببرِّه على رأسِ عبده الذي قام إلى صلاته فَرَحاً به وحفاوةً بقدومه ورضىً بصنيعه.

فإذا ركع عَلَتْهُ رحمة الله حتى يسجد... وما أروعَ ذلك الراكعَ في صلاته يستشعرُ مع كل تسبيحةٍ ينطِقُ بها لسانه وهو يقول (سبحان ربي العظيم) يستشعرُ أنّ رحمة خالقِهِ العظيم الذي يسبِّحه أصبحت فوقه تعلوه وكأنها خيمةٌ تَسْتُرُ عيوبَه، وغمامةٌ ماطِرةٌ تَغْسِلُ ذنوبَه، ودرعٌ واقيةٌ تحميهِ من غوائل الشيطان.... وما أروعَ ذلك المصلي الراكع الذي علته رحمةُ الله حينَ يستشعِرُ كرم الله سبحانه وفضله عليه إذ بوّأه بهذا الركوع مقام المحسنين المرحومين حيث يقول جلّ جلاله: ﴿إنّ رحمة الله قريب من المحسنين﴾[1].

وينتهي المصلي من الركوعِ ليبدأ في السجود، والساجدُ ـ، **كما يقول عليه الصلاة والسلام ـ يَسْجُدُ على قدمي الله فَلْيَسْأَلْ وليرغبْ... وأقربُ ما يكونُ العبدُ من ربّه وهو ساجدٌ في صلاته....**

فالسجود إذن هو مقامُ القربِ من الله، ويا لَهُ من مقامٍ عظيم، ويا لَهُ من

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ١١.

فضلٍ كبير، ويا لَهُ من خيرٍ جزيل...

وأنت أيها الساجد في صلاتك أقربُ ما تكون إلى ربّك ملكِ الملوكِ الذي لا حدودَ لسلطانه فاسألْهُ الحمايةَ والرعاية، واسألْه الأمنَ والطمأنينة.

أنت أيها الساجد في صلاتِك أقربُ ما تكون إلى ربّك، الحكيم العليم، البصير الخبير، فاسألْهُ العلمَ النافع، والحكمةَ البالغة والفهمَ الدقيق، والفتح المبين.

أنت أيها الساجد في صلاتك، أنت في مقام القرب من ربّك أغنى الأغنياء الذي لا تنضُب خزائنُه، ولا يَنْفَدُ خيرُهُ وإحسانه، فاسألْه الرزقَ الواسع والفضل العميم.

أنت في مقامِ القرب من الرحيم الرحمن، الحنّـان المنّان، العفـوّ الحليم، غافرِ الذنب، قابل التوب، مجيبِ الدعاء... فاسفح فِي هذا المقام دموعَ الندم والاستغفار، وتب إلى الله التوبةَ النصوح، واجأر إليه بالدعاء أَنْ يَجْعَلَك من المقبولين الفائزين برضاه، الموفَّقين في هذه الدنيا، الوارثين في الآخرة ﴿الذين يَرِثون الفردوسَ هم فيها خالدون﴾[1].

ونعود الآن إلى الحديث النبوي الشريف الثاني الذي ذَكَرْنَاه في أولِ هذه الوقفة، الذي يُصَوّر لنا موقفَ المصلي عند تلاوته سورةَ الفاتحة في قيامه وكيف قَسَمَ الله سبحانه وتعالى الصلاةَ بينه وبين عبده نصفين، وماذا يقوله الله عزّ وجلّ بعد أن يَنْتَهِيَ العبد من تلاوة كل آية من آيات هذه السورة، سورةِ الفاتحة التي لا تَصِح صلاةُ المسلم إلا بها:

فقد رَوَى أبو هريرة رضي الله عنه قال: إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٦.

[قال الله عزّ وجلّ: قَسَمْتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل؛

فإذا قال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ قال الله: حَمدني عبدي. وإذا قال: ﴿الرحمنِ الرحيم﴾ قال الله: أثنى عليّ عبدي. فإذا قال: ﴿مالكِ يومِ الدين﴾ قال الله: مجَّدني عبدي ـ وقال مرَّةً فوّض إليّ عبدي ـ فإذا قال: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراطَ الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالّين﴾ قال الله: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل].

فالمسألةُ إذنْ على هذا القَدْرِ الكبير من الأهمية والعظمة والروعة والجلال والجمال، موقفُ العبدِ الضعيفِ الصغيرِ المحتاج أمام معبودِه العظيم الكبيرِ المتعال...

العبدُ الضعيفُ يَحْمَدُ معبودَه ويُثني عليه ويمجّدُهُ ويَطْلُبُ منه الهداية ويرجو ثوابَهُ ويخشى عقابه، والله المعبودُ العظيمُ الكبيرُ المتعال يَفْرحُ بموقف عبده هذا ويسجلُ له بخطابه الحق، حَمْدَهُ وثناءَه وتمجيدَه، ويُعْطيهِ سؤلَه، ويُحقِّقُ رجاءَه، ويُنيلُهُ ثوابَه، ويُنْعِمُ عليه بالهداية والرضوان...

وإذا كانت المسألةُ مسألةُ دخول المصلي في حرم الصلاة ووقوفه بين يدي خالقه على هذا القَدْرِ من الأهمية والعظمة والروعة والجلال والجمال! ... إذا كان ذلك كذلك، ألا يتوجَّبُ على العبد الذي توجَّهَ إلى الصلاة ببدن نظّفه بالغُسْلِ والوُضوءِ والسّواك، وثوبٍ طَهَّرَهُ بالماء والصابون ومسحه بالطيب والورد، أَلَا يتوجَّبُ عليه أن لا يَنْسى لسانَهُ وقلبَهُ وجوارحَهُ، فينظفها ممّا علقِ بها من الشرور والمعاصي والآثام.

ثم، أَلَا يتوجَّبُ على العبد بعد دخوله في الصلاة مع تكبيرةِ الإحرام أن يستشعِرَ عظمةَ وجلالَ ورحمةَ وعطاءَ وحنانَ من يَقِفُ بين يديه وكأنه يراه، فلا

يرتفعُ بصره عن موضع سجوده، ولا يلتفتُ فكرُهُ إلى غير معبوده، ولا يَنْشَغِلُ قلبُهُ بغير اللهِ مقصوده. . . . قد خَشَعَ منه الطَرْف، وسكنتْ فيه الجوارح، إلّا اللسان فمتحركٌ بتلاوةِ القرآن، وإلّا القلب فنابض بذكر الرحيم الرحمن.

أيها الإخوة والأخوات

من أَجْلِ هذا كانت الصلاة في الإسلام الركنَ الركينَ بين أركانه بعد الشهادتين، **فقد تَسْقُطُ الزكاةُ** عن الإنسان بسببِ الفقر، **وقد يسقط الصومُ** بسبب المرض، **وقد يَسْقط الحج** لعدم الاستطاعة. . . **أما الصلاةُ فشعيرةٌ يومية، وفريضةٌ لا بد للمسلم من إقامتِها في الصحةِ والمرض والفقر والغنى والحلِ والترحال والسلم والحرب منذ بلوغه سنّ رشده وحتى يُسْلِمَ الروح لمن أودعها بين جنبيه.**

ومن أجلِ هذا كانتِ الصلاةُ أولَ ما يُحاسَبُ عليه الإنسان يوم القيامة.

ومن أَجْل هذا كان الرسولُ عليه الصلاة والسلام إذا حزبه أمر أو أصابه كَرْب أو أحاطت به شدة، بادر إلى الصلاة وقال: (أَرِحْنا بها يا بلال) وقد رُوِي عنه عليه الصلاة والسلام قولُه (جُعِلَتْ قرةُ عيني في الصلاة).

ومن أجل هذا كانت الصلاة، العلامةَ التي تميّزُ المؤمنين والحد الذي يفصِلهُم عن الكافرين فقد قال عليه الصلاة والسلام (العهدُ الذي بيننا وبينهم ـ أي الكافرين ـ الصلاة، فمن تَرَكَها فقد كفر).

ومن أجل هذا أيضاً كانت الصلاةُ إحدى الصفاتِ الأساسية التي يتصِفُ بها المتقون، ويمتازُ بها المؤمنون، ويسمو بها عباد الرحمن:

يقول الله عزّ وجلّ في صفات المتقين:

﴿ألم. ذلك الكتاب لا ريبَ فيه هدى للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب

ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. . .﴾[1].

ويقول جل جلاله في مميزات المؤمنين:

﴿قد أفلح المؤمنون. الذين هم في صلاتِهم خاشعون. والذين هم عن اللغو معرضون. والذين هم للزكاةِ فاعلون. والذين هم لفروجِهم حافظون. إلّا على أزواجهم أو ما ملكتْ أيمانهُم فإنهم غيرُ ملومين. فَمَن ابتغى وراءَ ذلك فأولئك هم العادون. والذين هم لأماناتِهم وعهدِهم راعون. والذين هم على صلواتِهم يُحافظون. أولئك هم الوارثون. الذين يَرِثون الفردوسَ هم فيها خالدون﴾[2].

ويقول عزّ من قائل في وصف عباد الرحمن:

﴿وعبادُ الرحمن الذين يَمْشُون على الأرضِ هَوْناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً. والذين يَبيتون لربهم سُجّداً وقياماً. والذين يقولون ربّنا اصرف عنّا عذاب جهنّم إنّ عذابَها كان غراما. إنها ساءت مستقراً ومقاماً﴾[3].

ربنا أكرمنا بإقامة الصلاةِ والمحافظة عليها وإتمام ركوعها وسجودها وخشوعها واجعلها قرة عيوننا في الدنيا وأماننا في الآخرة إنك سميع مجيب.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١ ـ ٣.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ١ ـ ١١.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٦٣ ـ ٦٦.

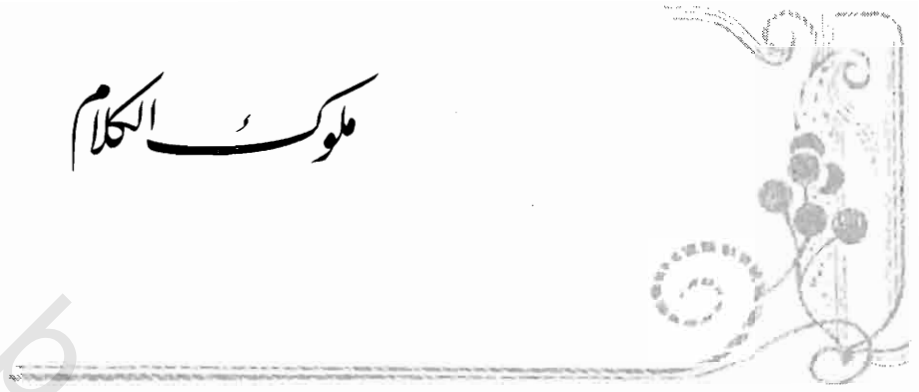

● لما ولي أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة، صَعد المنبر فحَمد الله وأثنى عليه ثم قال:

يا أيها الناس إنّي داعٍ فأمّنوا: اللهم إنّي غليظٌ فَلَيّنّي لأهل طاعتك بموافقة الحق، ابتغاء وجهِكَ والدارِ الآخرة، وارزُقْني الغلظةَ والشدّةَ على أعدائك وأهلِ الدّعارة والنفاقِ من غير ظُلْمٍ منّي لهم ولا اعتداءٍ عليهم.

اللهمّ إنّي شحيحٌ فسَخِّني في نوائبِ المعروف قَصْداً من غير سَرفٍ ولا تبذير، ولا رياءٍ ولا سمعة، واجعلْني ابتغي بذلك وجهَك والدارَ الآخرة.

اللهم ارزقني خَفْضَ الجناح ولينَ الجانبِ للمؤمنين.

اللهم إنّي كثيرُ الغفلةِ والنِّسيانِ فألهمني ذكرَك على كلِّ حال، وَذِكرَ الموتِ في كل حين.

اللهم إني ضَعيفٌ عند العمل بطاعتك، فارْزُقْني النشاطَ فيها، والقوةَ عليها بالنيةِ الحسنة التي لا تكون إلّا بعزتك وتوفيقك.

اللهم ثبّتْني باليقين والبِرّ والتقوى، وذِكْرِ المُقامِ بين يديك، والحياءِ

obeikandl.com

منك. وارزقني الخشوعَ فيما يرضيك عنّي، والمحاسبةَ لنفسي، وإصلاحَ الساعات، والحَذَرَ من الشبهات.

● وروى الفضل بن عميرة أنّ الأحنفَ بنَ قيس سيدَ بني حنيفة، الذي كان إذا غضب، غَضِبَ معه مائةُ ألف سيف، قَدِمَ في يومٍ صائف على عمرَ بنِ الخطاب في وفدٍ من العراق، وكان عمر يَدْهَنُ بعيراً من إبِلِ الصدقة بالقطران.

فقال عمر: يا أحنف دَعْ ثيابَكَ وهلّم ساعد أميرَ المؤمنينَ على هذا البعير، فإنّه من إبِلِ الصدقة؛ فيه حقُّ اليتيمِ والأرملةِ والمسكين!

فقال رجل: يَغفِرُ الله لك يا أميرَ المؤمنين، هَلّا أَمَرْتَ عبداً من عبيدِ الصَّدقةَ يكفيك هذا!

فقال عمر: يا ابنَ أخي. أيُّ عبدٍ هو أعبد منّي ومن الأحنفِ هذا؟

إنّ من وَلِيَ أمرَ المسلمين فهو عبدٌ للمسلمين، يَجِبُ عليه لهم ما يَجِبُ على العبدِ لسيدِهِ من النصيحةِ وأداءِ الأمانة.

● وَرُوِيَ أنَّ عثمانَ بنَ عفّان رضي الله عنه قال في أول خطبةٍ له بعد توليه الخلافة:

إن الدنيا طُوِيَتْ على الغُرور، فلا تغرنّكم الحياةُ الدنيا ولا يغرنّكم بالله الغَرور. واعتبروا بِمَنْ مضى. ولا تغفُلوا، فإن الله لا يَغْفُلُ عنكم.

أين أبناءُ الدنيا وإخوانُها الذين أثاروها، وعَمَروها ومُتِّعوا بها؟ ألم تَلْفِظْهم؟ لا تُلْهِكُم أموالُكم ولا أولادُكم، واجتهدوا في طلبِ الآخرة فهي الخيرُ المأمول، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿واضرب لهم مَثَلَ الحياةِ الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماءِ فاختلطَ به نباتُ الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح، وكان الله على كلِّ شيء مقتدرا. المالُ والبنونَ زينةُ الحياةِ الدنيا والباقياتُ الصالحات

خيرٌ عند رَبِّكَ ثواباً وخَيْرٌ أملاً﴾[1].

● وكان عليُّ بنُ أبي طالب كرّم الله وَجْهَه يَنْهَى عن بطانةِ السوء فقد قال في وصيته إلى محمدِ بنِ أبي بكر رضي الله عنهما وكان أحدَ ولاته:

لا تُدْخِلَنَّ مشورتك بخيلا يَعْدِل بك عن الفضل، ويَعِدُكَ الفقر، ولا جباناً يُضْعِفُك عن القيام بالأمور، ولا حريصاً يَزِين لك الشَرَهَ بالجَوْر، فإنّ البخلَ والجبنَ والحِرص غرائزُ شتى يَجْمَعُها سوءُ الظنِّ بالله.

إنَّ شرَّ وزرائك مَنْ كان للأشرار قَبْلَكَ وزيرا، وَمَنْ شَرَكَهم بالآثام، فلا يكونُنَّ لك بطانة، فإنهم أعوانُ الأَثمة، وإخوان الظَّلَمة، وأنت واجدٌ بدلاً منهم خيرَ الخلف، ممن لهم مثلُ آرائهم ونَفَاذِهم وليس عليهم مثلُ آصارِهم وأوزارهم.

● ووقف معاويةُ بنُ أبي سفيان رضي الله عنه على منبره في جامع دمشق وهو خليفة، يَخْطُبُ المسلمين، ويُعْلِمهُم بأنه مضطرٌ لحبس العطاء عن أهله، لحاجةِ الدولة في حروبها إلى المال، ويَطْلُبُ من الأغنياء مزيداً من الرعاية للفقراء، وإذا بأبي مسلمٍ الخولاني يَصِيحُ بأعلى صوته ويقول:

يا معاوية إنَّ المال ليس من كَدِّك، ولا من كَدِّ أبيك، ولا من كَدِّ أمِّك!

فَغَضِبَ معاويةُ بنُ أبي سفيان غَضَباً شديداً حتى كسا الأحمرارُ وجهَهُ وعينيه. ولم يَنْبِس ببنتِ شفه، بل نَزَل من على المنبر وقال للمسلمين:

مكانَكم حتى أعود.

ثم عاد بعد فترةٍ قصيرة، وصَعِد المنبرَ مرة أخرى وقال:

أيها الناس. إنّ أبا مسلم الخولاني كلّمني بكلامٍ أغضبني. وإني سمعت

---

(١) سورة الكهف: الآية ٤٥ ـ ٤٦.

رسولَ الله ﷺ يقول:

(الغضبُ من الشيطان. والشيطان خُلِقَ من النّار. وإنّما تُطفأ النارُ بالماء، فإذا غَضِبَ أَحَدُكم فليغتسِلْ أو فلْيتوضأ).

وإني دخلت فاغتسلت وأطفأت نارَ غضبي. وصدق أبو مسلم: إنّ المالَ ليس من كدّي، ولا من كدّ أبي ولا من كدّ أمي!

ثم وجّه الكلامَ إلى أصحابِ العطاء وقال: هَلُمُّوا إلى عطاياكم.

●وَكَتَبَ عمرُ بنُ عبد العزيز إلى واليه عديّ بنِ أرطأةَ كتاباً يُحَذّره فيه أن يَعْمَلَ شيئاً من أعمال الحجّاج السيئة فقال:

أمّا بعد، فإني كتبتُ إليك بكتبٍ كثيرة، أرجو بذلك الخيرَ من الله تعالى، والثوابَ عليه، وأنهاكَ فيها عن أمورِ الحجّاجِ بنِ يوسف، وأرغبُ عنها وعن اقتدائك بها، فإنّ الحجّاجَ كان بلاءً وافقَ خطيئةَ قومٍ بأعمالهم، فَبَلَغَ الله عزَّ وجلَّ في مدتِهِ ما أَحَبَّ من ذلك. ثم انقطع ذلك وأَقْبَلَتْ عافيةُ الله عز وجلّ.

وَنَهَيْتُكَ عن فِعْلِهِ في الصلاة فإنه كان يؤخرها تأخيراً لا يَحِلُّ له.

ونهيتُك عن فِعْلِهِ في الزكاة فإنه كان يأخُذُها في غيرِ حقّها، ثم يُسِيءُ مواضِعَها. فاجتنب ذلك منه، واحْذَرِ العملَ به، فإنَّ الله عزّ وجلّ قد أراح منهُ العباد، وطَهَّرَ من شرِّهِ البلادَ. والسلام.

● وقال عمرُ بنُ عبد العزيز في خطبةٍ له:

إنّ لكل سفرٍ زاداً لا محالة، فتزوّدوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرةِ بالتقوى، وكونوا كمن عايَنَ ما أَعَدَّ الله من ثوابه وعقابه تَرْغَبوا وتَرْهَبوا، ولا يطولَنَّ عليكمِ الأَمَدُ فتقسوَ قلوبُكم وتنقادوا لعدوّكم فإنه واللهِ ما بُسِطَ أَمَلُ مَنْ لا يدري لعله لا يصبحُ بعد مسائه ولا يمسي بعد صَباحِه، وربما كان بين ذلك

خَطَفَاتُ المنايا. وكم رأيتُ ورأيتُمْ من كان بالدنيا مُغْتَرّاً. وإنّما تَقَرُّ عينُ مَنْ وَثِقَ بالنجاةِ من عذاب الله تعالى. وإنما يَفْرَحُ من أَمِنَ أهوالَ القيامة. فأمّا مَنْ لا يُداوي جُرْحاً إلّا أصابَهُ جُرْحٌ من ناحيةٍ أخرى فكيف يفرح ؟

أعوذُ بالله أَنْ آمُرَكم بما لا أنهى عنه نفسي، فَتَخْسَرَ صفقتي وتَظْهَرَ عيبتي، وتبدو مسكنتي في يومٍ يبدو فيه الغنى والفقر، والموازينُ منصوبة.

لقد عُنِيتُم بأمرٍ لو عُنِيَتْ به النجومُ لانكدرت، ولو عُنِيَتْ به الجبالُ لذابت، ولو عُنِيَتْ به الأرضُ لتشققت.

أما تعلمون أنه ليس بين الجنّةِ وبين النار منزلة، وأنكم صائرون إلى إحداهما ؟

● وكتب الإمامُ أبو يوسف صاحبُ أبي حنيفة إلى هارون الرشيد رحمهم الله وهو يقدّم له كتاب (الخراج).

يا أمير المؤمنين، لقد قلَّدك الله أمراً عظيماً، ثوابُهُ أعظمُ الثواب، وعقابُهُ أشدُّ العقاب، قلَّدك أمرَ هذه الأمة. فلا تُضَيعَنّ ما قلَّدك الله من أمرِ هذه الأمة، ولا تؤخِّر عَمَلَ اليوم إلى غد، فإنك إنْ فَعَلْتَ ذلك أَضَعْتَ. وإياكَ والأمرَ بالهوى والأخذَ بالغضب.

وإذا نظرت إلى أمرين أحدهُما للآخرة والآخرُ للدنيا فاخترْ أمر الآخرة على أمر الدنيا، فإنَّ الآخرةَ تبقى والدنيا تفنى. وكنْ من خشية الله على حَذَر، واجعلِ الناس عندك سواء، القريبَ والبعيد، واحذرْ فإنّ الحذرَ بالقلب لا باللسان.

واعمل ـ يا أمير المؤمنين ـ للموقف الأعظم الذي تنخلِعُ فيه القلوب، وتنقطعُ فيه الحجج، فأعِدَّ للمسألةِ جوابها، فإنّ ما عَمِلْتَ قد أُثْبِت، فهو غداً

عليك يُقرأ، فاذكرْ كَشْفَ قناعِك فيما بينك وبينَ اللهِ في مجمع الأشهاد.

يا أمير المؤمنين

إنك راعٍ وإنّ الراعي المضيِّع يَضْمَنُ ما هَلَكَ على يديه، فاحذرْ أن تُضِيّعَ رعيتك فَيَسْتَوْفيَ ربُّها حقَّها منك، ويضيّعَك بما أَضَعْتَ أمانتَك.

وإنّ صلاحَ الناس بإقامةِ الحدود عليهم ورفعِ الظلم عنهم.

obeikandl.com

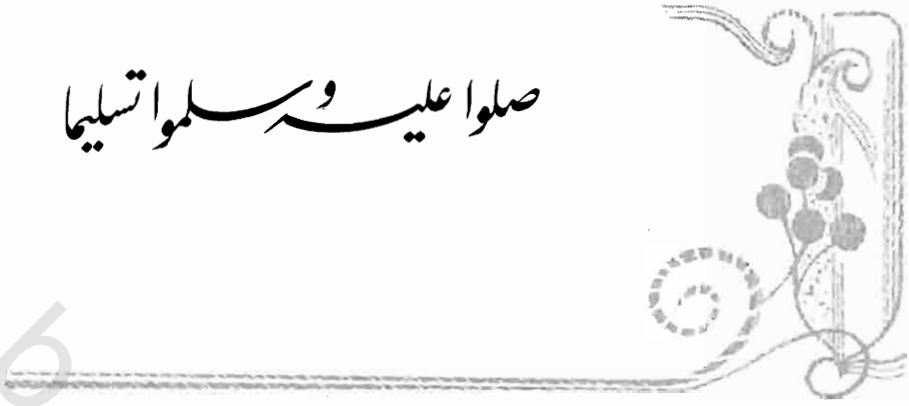

يُسَنُّ للمسلم بعد انتهاء المؤذّن من أذانه لكل فريضة أن يُصَلِّي على النبي عليه الصلاة والسلام، وأن يدعو الله سبحانه وتعالى له بهذا الدعاء (اللهم ربّ هذه الدعوة التامّة، والصلاةِ القائمة آت محمداً الوسيلةَ والفضيلةَ والدرجة الرفيعة وابعثه مقاماً محموداً الذي وَعَدْتَه إنك لا تخلف الميعاد).

كما يُطلب من المسلم أن يسلّمَ على النبي عليه السلام، وأن يسألَ الله سبحانه أن يصلي عليه وعلى آله وأن يبارك عليه وعلى آله في كل قعود يقعده في صلاته، فيقول (السلامُ عليك أيها النبيُّ ورحمةُ الله وبركاته) ويقول: (اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد)، أي تسعَ مراتٍ في صلوات الفريضة فقط في اليوم والليلة.

كما يأمر الله سبحانه وتعالى المسلمين والمسلمات أن يقتدوا به وبملائكته في الصلاةِ والسلام على نبيه في الليل والنهار وفي جميع الظروف والأحوال فيقول جلّ جلاله: ﴿إنّ الله وملائكتَهُ يُصَلُّونَ على النبيّ يا أيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلموا تسليماً﴾.

ويقول عليه الصلاة والسلام:

(أَوْلى الناسِ بي يومَ القيامة أكثرُهم عليّ صلاة).

ويقول عليه الصلاة والسلام:

(كلُّ دعاءٍ محجوب حتى يُصَلَّى على محمدٍ وعلى آل محمد).

ويقول صلوات الله وسلامه عليه؛

(أكثروا من الصلاةِ عليّ يومَ الجمعة فإنّ صلاتكم معروضةٌ عليّ).

ويقول عليه الصلاة والسلام:

(من صلّى على محمد وقال: اللهم أَنْزِلْهُ المقعدَ المقرّب عندك يوم القيامة وَجَبَتْ له شفاعتي).

ويقول ﷺ:

(أتاني مَلَك فقال: يا محمد إنّ الله يقول: أَمَا يُرْضيك أنّه لا يُصلِّي عليك أَحَدٌ من أمتِك إلّا صَلَّيْتُ عليه عشراً، ولا يُسَلِّمُ عليك أحدٌ من أمتك إلا سَلَّمْتُ عليه عشراً).

ويقول صلواتُ الله وسلامه عليه:

(البخيل من ذُكِرْتُ عنده فلم يُصَلِّ عليّ).

فـ (اللهمّ صلّ على محمد النبيّ الأمي وأزواجِهِ أمهاتِ المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صَلَّيْتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد)[1].

والصلاةَ والسلامُ والدعاءُ لرسول الله ﷺ ـ أيها الإخوة والأخوات ـ في أوقاتٍ مخصوصة مهمّة، بعد الأذان أو في صُلْبِ الصلاة أو عَقِبَ دعاء الإنسان ربَّه، واستغفارِهِ من ذنبه.

بل في كلّ ساعاتِ الليلِ والنهار وفي كل الظروف والأحوال، استذكارٌ

(١) هذا جزء من حديث نبوي شريف.

دائم لشخصيةِ الرسول عليه الصلاة والسلام مِنْ قِبَلِ الإنسانِ المسلم، وتعبيرٌ صادقٌ عن محبتِهِ، وانقيادٌ كاملٌ لطاعتِهِ فيما أمر، واجتنابٍ ما نهى عنه وزجر، وفخرٌ واعتزازٌ بالسَّيْرِ في ركبِهِ العظيم...

استذكارٌ لشخصيةِ محمدٍ بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه، المعلم المرشد، القائدِ الملهم، الآمرِ المطاع، الأسوةِ الحسنة، المَثَلِ الكامل، الرحمةِ المهداة، الدليل المنقذ، سيدِ الأولين والآخِرين، وخاتمِ الأنبياء والمرسلين صلواتُ اللهِ وسلامه عليهم أجمعين...

ولقد أكرم الله سبحانَهُ وتعالى الصدر الأول من أمتنا الذين سَعِدوا بصحبة النبي عليه الصلاة والسلام وتَشَرَّفوا بالحياةِ تحت ظلاله، لقد أكرمهم الله سبحانه وتعالى بفهم هذا المعنى، يُمَثِّلُهُ الرسولُ عليه الصلاة والسلام في كلِّ شؤونهم على هذه الأرض ثم في الدار الآخرةِ دار القرار.

كيف لا وهذه الآياتُ القرآنيةُ وغَيرُها تَتَنَزَّلُ، على رسوله الكريم ﷺ وهو بين ظهرانيهم، يتلوها عليهم، في مثلِ قولِهِ تعالى: ﴿لقد مَنّ الله على المؤمنين إذْ بَعَثَ فيهم رسولاً من أنفسِهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويُعَلِّمُهُم الكتابَ والحِكمة وإنْ كانوا من قبلُ لفي ضلالٍ مبين﴾[1].

وقوله تعالى:

﴿وأطيعوا الله والرسولَ لعلَّكم ترحمون﴾[2].

وقوله تعالى:

﴿فإنْ تنازعتم في شيءٍ فردُّوه إلى الله والرسولِ إن كنتم تؤمنون بالله واليومِ الآخِر ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلا﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٣٢.

(٣) سورة النساء: الآية ٥٩.

وقوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ ولا تُبْطِلُوا أعمالَكم﴾[1].

وقوله تعالى:

﴿فَلَا وربِّك لا يؤمنون حتى يُحكِّموك فيما شَجَرَ بينهم ثم لا يَجِدوا في أنفسِهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليما﴾[2].

وقوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لِلّه وللرسولِ إذا دعاكم لما يحييكم﴾[3].

وقوله تعالى:

﴿قل إن كنتم تحبُّون الله فاتَّبعوني يُحْبِبْكُمُ الله ويغفرْ لكم ذنوبَكم والله غفورٌ رحيم﴾[4].

وقوله تعالى:

﴿إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً. لِيَغْفِرَ لك الله ما تَقَدَّمَ من ذنبك وما تأخر ويُتِمَّ نعمتَهُ عليك وَيَهْدِيَكَ صراطاً مستقيماً. وَيَنْصُرَك الله نصراً عزيزاً﴾[5].

وقوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تُقَدّموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إنّ الله سميع

---

(١) سورة محمد: الآية ٣٣.
(٢) سورة النساء: الآية ٦٥.
(٣) سورة الأنفال: الآية ٢٤.
(٤) سورة آل عمران: الآية ٣١.
(٥) سورة الفتح: الآية ١ ـ ٣.

عليم. يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فَوق صوتِ النبيّ ولا تَجْهَروا له بالقول كَجَهْرِ بعضِكم لبعض أن تحَبطَ أعمالُكم وأنتم لا تَشْعُرون. إنّ الذين يَغُضُّون أصواتَهم عند رسولِ الله أولئك الذين امتحن الله قلوبَهم للتقوى لهم مغفرةٌ وأجر عظيم﴾[1].

وقوله تعالى:

﴿لقد جاءكم رسولٌ من أَنْفُسِكم عزيزٌ عليه ما عنتُّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾[2].

وقوله تعالى:

﴿ن والقلمِ وما يَسْطُرُون. ما أنتَ بنعمةِ ربِّك بمجنون. وإنّ لك لأجراً غيرَ ممنون. وإنّك لعلى خُلُقٍ عظيم﴾[3].

لقد فَهِمَ الرعيلُ الأول من هذه الأمة، وهم الصحابةُ الكرام معاني هذه الآيات القرآنية ومثيلاتِها التي تبيّن قَدْرَ الرسول عليه الصلاة والسلام عند ربه عزّ وجلّ، وأهميةَ التصديق بنبوته، وطاعةِ أوامره، واجتنابِ نواهيه، والتأسي بأعماله وشمائله وأخلاقه، وفَهِموا كذلك معنى قوله عليه الصلاة والسلام: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما).

فتنافسوا في محبته عليه الصلاة والسلام، وتسابقوا إلى مرضاته، وأرخصوا في ذلك أموالَهم، وأوقاتهم، وأجسادَهم وأرواحَهم، وضربوا أروعَ الأمثلة في التعبير عن حبهم له بأقوالهم وأعمالهم وتصرفاتهم؛

● فها هي عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها تعبّر عن حبها لرسول الله ﷺ

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١ ـ ٣.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

(٣) سورة القلم: الآية ١ ـ ٤.

بلسانِ الزوجة الوفيةِ المؤمنة الطهور، فتقول له:

وأجملُ منك لم تَرَ قطُّ عيني وأكملُ منك لم تلد النساءُ
خلقت مُبَرّءاً من كل عيبٍ كأنّك قد خُلِقْتَ كما تشاء

● وكان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول:

كان رسولُ الله ﷺ أحبّ إلينا من أموالِنا وأولادِنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ.

● وهذه امرأة صحابيةٌ يُسْتَشْهَدُ أبوها وأخوها وزوجُها في معركة أحد، فيبلُغها ذلك، فتبادر إلى سؤالٍ محدد، ما فَعَلَ رسولُ الله؟ كيف حاله؟ فيقولون لها: خيراً كما تحبين. فتقول: أرونيه. دعوني أنظرْ إليه. فلما رأتْهُ عليه الصلاة والسلام واطمأنت على سلامتِهِ قالت: كلُّ مصيبة بعدك جلل ـ أي هينة ـ يا رسول الله.

● وهذا أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه يبقى الليل كلّه ساهراً بعد معركة خيبر يَحْرُسُ خيمةَ رسول الله ﷺ، يدور حولها متوشحاً سيفه. فلما أصبح عليه الصلاة والسلام وعَرَفَ مكانَ أبي أيوب والمهمةَ التي نَدَبَ نفسَهُ لها، أكرَمَهُ الرسولُ عليه الصلاة والسلام بدعاءٍ يفيض عطفاً وبراً ووفاء: فقال له (رَحِمكَ الله يا أبا أيوب. رَحِمَك الله يا أبا أيوب. اللهم احفظ أبا أيوب كما باتَ يَحْفَظُني).

● وجاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام يسأله عن الساعة، فقال له عليه الصلاة والسلام: وما أعددتَ لها؟

فقال الرجل: لا شيء. غير أنّي أحبُّ الله ورسولَه.

فقال له عليه الصلاة والسلام: أنت مع من أحببت.

قال أنس رضي الله عنه: فما فَرِحنا بشيء فَرَحَنا بقولِ رسول الله ﷺ:

أنت مع من أحببت. وقال أنس: فأَنا أُحِبُّ النبيّ ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكونَ معهم بِحُبِي إياهم.

● وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال:

يا رسولَ الله إنّك لأَحَبُّ إليّ من أهلي ومن نفسي ومن وَلَدي، وإنّي لأَكونُ في البيت فأذكرَك وما أصبرُ حتى آتيكَ فأنظرَ إليك، فإذا ذكرتُ موتي وموتَك عَرَفْتُ إذن أنك إذا دخلتَ الجنّة رُفِعْتَ مع النبيين، وإنّي إذا دَخَلْتُ الجنّة خَشِيت أن لا أراك.

فلم يَرُدَّ عليه النبيّ ﷺ شيئاً حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية:

﴿وَمَنْ يُطِعِ الله والرسولَ فأولئك مع الذين أَنْعَمَ الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وَحَسُنَ أولئك رفيقاً﴾[1].

اللهم ارزقنا حبّك وحبّ نبيك عليه الصلاة والسلام.
وأكرمنا في هذه الدنيا بطاعته والاهتداء بهديه والتمسكِ بسنته.
وأَنْعِمْ علينا في الآخرة بجوارِهِ وصحبته في أعلى عليين.

---

(١) سورة النساء: الآية ٦٩.

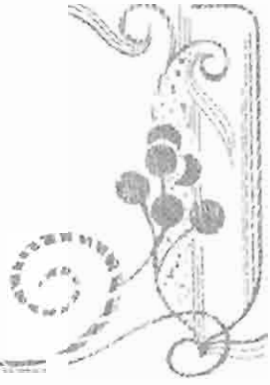

أمّ حبيبة

قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(من صلّى اثنتي عشرة ركعةً في يومِهِ وليلته بُنيَ له بيتٌ في الجنّة).

وقالت: فما تركتُهنّ منذ سمعتُهنّ من رسول الله ﷺ.

وقد روت عن رسول الله ﷺ إضافةً إلى هذا الحديث الشريف أربعةً وستين حديثاً شريفاً آخر. . . . فمن تكون هذه الصحابية الجليلة ومن هي هذه المعلّمة المحدّثةُ العظيمة ؟

إنّها رملةُ بنتُ صخر أبي سفيانَ بن حرب بن أمية بن عبد شمس.

أمّا أمُّها فهي صفيةُ بنتُ أبي العاص بن أمية بن عبد شمس.

من أبناء عمومتها ذو النورين عثمانُ بنُ عفّان رضي الله عنه صهر رسول الله ﷺ والخليفة الراشدي الثالث وابنُ خالها أيضاً، **وأخوها يزيد بن أبي سفيان أحدُ القادةِ المظفرين الذين فَتَحَ الله على أيديهم بلادَ الشام**، وحرَّرها من الكفر والظلم واستعمار الرومان، وأضاءَ أهلَها وربوعَها بنور الحق وهَدْي الإسلام.

وأخوها أيضاً، سيدُ خلفاء بني أمية، وحاكم الدنيا في زمانه معاويةُ بنُ أبي سفيان.

وُلِدَتْ رملةُ بنتُ أبي سفيان في مكة قبلَ البعثةِ المحمدية بثلاثة عَشَرَ عاماً.:.

في بيتِ أبيها، بيتِ أبي سفيان، بيتِ العز والشرف والأرومة، نَشَأَتْ رملةُ وترعرعت، وَجَمَعَتْ إلى جانب فطنتها وذكائها وَطيب مَحْتِدِها، جَمَعَتْ بين القراءة والكتابة، وتلك مَزِيَّةٌ للمرء لا يستهان بها في مثل ذلك المجتمع العربيّ الجاهليّ الأميّ.

كان زواجُها الأول من عبيد الله بن جحش، وكان عبيدُ الله هذا واحداً من نَفَرٍ قليلٍ في مكة يُسَمّون بالحنفاء، عَكَفُوا على دين إبراهيم عليه السلام، فاجتنبوا عبادةَ الأصنام وابتعدوا عن شُرْبِ الخمر ولعب الميسر، وتمسَّكوا بمكارم الأخلاق، وكان من هؤلاء ورقةُ بنُ نوفل وزهيرُ بنُ أبي سلمى وعثمانُ بن الحارث...

وهكذا وجدت رملة بنت أبي سفيان نَفْسَها زوجةً لرجلٍ لا يَعْبُدُ ما يعبدُ قومُها من الأصنام والأوثان، ولا يَرْتَعُ كما يرتع قومُها في مواخير اللهو والرذيلة والفجور، بل يَبْحَثُ وباستمرار عن الطريق الذي يُوْصِلُهُ إلى عبادةِ الله وحده لا شريك له... **وَوَجَدَتْ رملةُ كذلك أَنَّ زوجها على حق فيما يعتقدُ ويبحث، وأنَّ قومَها وفيهم أبوها أبو سفيان على باطلٍ فيما يعتقدون ويعبدون...**

وانتشر الخبرُ في مكة، خبرُ الدين الجديد الذي جاء به محمدٌ (الأمين) وحياً من ربّه، وأنّ هذا الدين يَدْعُو إلى عبادةِ الله وَحْدَهُ لا شريك له، ونَبْذِ عبادة الأصنام، والابتعاد عن الفواحش والآثام.... **وَوَقَفَتْ قريشٌ بقضّها وقضيضها في وجه الدين الجديد وفي وجهِ حامله،** يَدْفَعُها العلوُّ والاستكبارُ والعناد

للتمسكِ بشركها وجهلها وطغيانها إلّا نفراً قليلاً من الرجالِ والنساء والولدان والأرقاء، هَدَى الله قلوبَهم إلى طريقِ الحق فآمنوا بالله رباً لا شريكَ له، وبمحمدٍ نبياً رسولاً، وبالإسلامِ ديناً. . . . . **وكان من هؤلاء الذين سارعوا إلى الإيمان بالدين الجديد عبيدُ اللهِ بنُ جحش وزوجتُهُ رملة بنتُ أبي سفيان**. . .

صَمَدَتْ رملةُ أمامَ جبروت أبيها أبي سفيان وسخريتِهِ بدينها الجديد، بل كانت لا تتوانى أمامه عن بيانِ فسادِ الإشراك بالله والخضوعِ للأصنام التي لا تَضُرُّ ولا تنفع ولا تُغْنِي عن الحقِّ شيئاً، وأنّ الله وحده هو المعبودُ دون سواه، وهو الخالقُ الرازق، وهو الذي يسمع الدعاء، **وكانت تتمنى في أعماقها أن يَشْرَحَ الله صدر أبيها للإسلام، وأن تَكْسَبَ المسيرةُ المحمدية الطريةُ العود رجلاً في مثل عقله ومكانتِهِ وتأثيره في قومه**. . .

ولكن كيف يكون ذلك في تلك الفترة ونوازعُ الشرّ تتناوشه وأجنادُ الشيطان يحيطون به من كل جانب. . . **كيف يُسْلِسُ القَيادَ وهو أبو سفيانَ بنُ حرب، زعيم قريشٍ المطاع، وسيدُها الذي يُشار إليه بالبنان، إلى محمدٍ بن عبدالله الذي نشأ يتيماً، وعاش فقيراً، ولم يُؤْمِنْ بدعوته إلّا عددٌ قليل من الناس** ؟. . وهل يجوز أن يَسْتَسْلِمَ بنو أمية لبني هاشم ؟ ! وهبْ أنّ أبا سفيان آمن بالله ورسوله، فكيف سيواجه في هذه الحالة صناديدَ قريش وكبراءَها أبا الحكم عمروَ بن هشام، وأبا لهب، وصفوانَ بن أمية، وأميةَ بن خلف وغيرهم وغيرهم ؟. . وبعد ذلك هل يَرْضى لنفسِهِ أنْ يُصْبحَ حديثَ فكاهةٍ وسخريةٍ وتندرٍ في مجالسِ النساء القرشيات ؟ !

وأعلنت قريشٌ حرباً لا هوادة فيها على رسول الله ﷺ وعلى مَنْ آمن معه من رجالها ونسائها ومواليها، بالتكذيب والشتيمة والقطيعة تارة، وبالحَبْسِ والضرب والتعذيب تارات، وكان لا بدّ من حَلٍّ مرحلي يُخَفِّفُ على المسلمين ما أحاط بهم من ضيق وإيذاء وإرهاق، **فَأَذِنَ رسولُ الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى**

أرضِ الحبشة، ذلك لأنّ فيها مَلِكاً لا يُظْلَمُ عنده أحد. . .

وَشَدّت رملةُ بنتُ أبي سفيان ومعها زوجُها عبيدُ الله بن جحش شدّا رحالَهما باتجاه الحبشة وكانا في طليعةِ المسلمين الذين هاجروا إلى هناك فراراً بدينهم وجهاداً في سبيل عقيدتهم. **وتحمّلتْ رملةُ وعثاءَ السفر من مكة إلى الحبشة براً وبحراً وكانت في أثناء ذلك تَحْمِلُ جنيناً في بطنها مما ضاعف تَعَبَها ومعاناتها !** ومع ذلك فقد كان إيمانُها بالله، وحبُّها لرسوله عليه الصلاة والسلام، وشعورَها بأنَّ هجرتها في سبيل الله، يخففُ عنها المصاعب والآلام.

وما أن استقرّ بها وبزوجها المُقام في الحبشة حتى وضَعَتْ (رملة) **حَمْلَها وأكرمها الله وزوجَها بمولودة جميلة أسمياها** (حبيبة). وصارت رملة تُعْرَفُ منذ ذلك الوقت باسم (أم حبيبة).

أكرم (النجاشيُّ) **ملكُ الحبشةِ حينئذٍ وِفادة المسلمين المهاجرين إلى بلاده واستقبلَهم بالترحاب والتقدير، وَجَعَلَ رئيسهَم جعفرَ بن أبي طالب رضي الله عنه موضعَ إعزازه وعنايته ورعايته. ثم رَدّ الرسل التي أرسلتها قريش إليه لإعادة المهاجرين من حيث أتوا، وأفهمهم بأنه لا سبيل إلى ذلك فعاد أولئك الرسلُ خائبين خاسرين.**

وأقام المسلمون المهاجرون إلى الحبشة فيها سنين عدداً يعبدون ربّهم ويتعاونون فيما بينهم على البر والتقوى، ويتلهفون دائماً وأبداً إلى تلقي الأخبار، أخبارِ النبي عليه الصلاة والسلام ودعوتهِ وأخبار إخوانهم المسلمين في مكة وأخبار صمودهم وصبرهم وثباتِهم على الحق. . .

لقد بَلَغَهُمْ فيما بَلَغَهُم أنّ قريشاً قد كَتَبَتْ عهداً قاطعتْ فيه بني هاشم وبني عبد المطلب قومِ النبي عليه الصلاة والسلام، فلا يواكلونهم ولا يزاوجونهم ولا يعاملونهم، وقد اضطروهم للخروج من مكة والاحتباسِ في

شِعْب أبي طالب، ثم بلغهم بعد ذلك كيف أنَّ الله سبحانه وتعالى قد أبلى هذا العهدَ المكتوبَ الغاشم، وَوَضَعَ حداً لهذه القطيعةِ الظالمة.

كما بلغهم ما عاناه نبيُّهم وقائِدُهم من الصدود عندما عَرضَ الإسلام على أهل الطائف، وما أَلَمَّ به من الحزن وهو يَفْتِقُدُ زوجتَهَ الحبيبةَ الأثيرة خديجةَ بنتَ خويلد، وعمّه الكريم النبيل أبا طالب الذي كان رسول الله يَطمَعُ أن يكون من المسلمين !

ومع كل ذلك، فالأخبار لا تخلو من جوانبَ سارّة، بل إنّ فيها ما يبشّرُ بانطلاقةٍ كبرى وفتحٍ عظيم... **لقد أسلم حمزةُ بنُ عبد المطلب حبيبُ رسول الله ﷺ والفارسُ الهاشميُّ المغوار، واستجاب الله دعوةَ نبيه، فأَسْلَمَ صنديدُ قريش عمر بنُ الخطاب، وانطلقتِ الدعوةُ إلى الله من جدرانِ السرّ والخفاء إلى آفاق الجهر والعلانية... وأكثرُ من هذا فقد آمن بالإسلام ناسٌ من أهل يثرب من الأوس والخزرج** وبايعوا رسول الله ﷺ على السمعِ والطاعة، ووعدوه بالنصرِ المؤزر عند هجرتِهِ إلى مدينتهم...

وأخيراً جاءتهم الأخبار بأنّ المسلمين القرشيين قد هاجروا إلى المدينة، وأنّ رسولَ الله ﷺ قد لَحِق بهم يرافقُهُ صاحبه أبو بكرٍ الصديق رضي الله عنه.

أمّا المفاجأة المحزنةُ الكبرى التي حدثت في حياة السيدة رملة (أم حبيبة) بنت أبي سفيان رضي الله عنها في الحبشة، **فهي ارتدادُ زوجها عبيد الله بن جحش عن دينه، ارتدادهُ عن الإسلام متأثراً بمعتقدات أهل الحبشة آنذاك ومقلِّدا لعاداتهم.... وانكب عبيد الله بن جحش على الخمر يشربها حتى مات...**

وأغلقت (أمُّ حَبِيبةَ) البابَ عليها وعلى وليدتها اليتيمة كاسفةَ البال حزينة... **مات زوجها مرتداً عن الإسلام، وأصبح شعورُها بوحشةِ الاغتراب شديداً... أمّا مكة فلا سبيلَ إليها بعدما هاجر منها المسلمون، وأبوها أبو**

سفيان لا يزالِ يُصِرُّ على كفره وعناده، وأهلُ بيت زوجها تركوا ديارَهم وعَفَتْ آثارُهم من مكة وليس من سبيل أمامها سوى التوجهِ إلى المدينة المنورة حيث نبيُّها ومعلمها ومَثَلُها الأعلى، وحيث إخوانها المسلمون والمسلمات من المهاجرين والأنصار... ولكن كيف السبيلُ إلى المدينة المنورة وهي امرأةٌ ضعيفةٌ وحيدةٌ لا حولَ لها ولا طَوْل.

ونامت (أم حَبِيبة) رضوانُ الله عليها ليلتها تلك تكتنفها هذه المشاعر، وتحتدم في خلدها هذه الأفكار والأحاسيس.

واستيقظت (أم حبيبة) من نومها فرحة مستبشرة، فقد رأتْ في نومها منادياً يناديها ويقول: يا أمَّ المؤمنين. يا أمَّ المؤمنين فاهتزّت لهذا النداء واغتبطت وأوّلتْ هذه الرؤيا بأن رسول الله ﷺ سيتزوجها...

تقول أمُّ حَبيبة رضي الله عنها:

فما هو إلّا أنِ انْقَضَت عِدّتي، فما شَعَرْتُ إلّا برسولِ النجاشيّ على بابي يستأذن، فإذا جاريةٌ يقال لها (أبرهة)، فَدَخَلَتْ عليّ فقالت:

إنّ الملك ـ أي النجاشي ـ يقولُ لك إنّ رسولَ الله ﷺ قد كتب إليّ أنْ أُزَوِّجَكِهْ (أي أن أزوجك له).

فقلت: بَشَّرَكِ الله بخير!

قالت أبرهة: يقولُ لك المَلِك: وَكّلي من يُزَوّجُك.

قالت (أم حَبِيبة) فأرسلتُ إلى خالدِ بن سعيد بن العاص فَوكَّلْتُهُ. وأعطيت (أبرهَة) سِوارين من فضة وخَدْمَتِين كانتا في رِجْلَيّ، وخواتيمَ فضة كانت في أصابع رِجْلَيَّ سروراً بما بشرتني به.

سنلتقي مرة ثانية في الحلقة القادمة بإذن الله مع أم حبيبة رضي الله عنها وهي تستعد للتوجه إلى بيت رسول الله ﷺ فتكتب في أمهات المؤمنين.